لا تبكِ يا حبيب العمر

رواية

لا تبك يا حبيب العمر

تأليف

حسين علي أبو إسماعيل

لا تبكِ يا حبيب العمر

تأليف: حسين علي أبو إسماعيل

سنة الطباعة: ٢٠٠٩.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٩٦٣

تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٩٦٣

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

شخصيات الرواية

- ☒ حارث: مهندس ثري ذو أملاك كثيرة.
- ☒ سمير: أستاذ مدرسة، يمت بصلة القرابة لحارث.
- ☒ سامي: ابن سمير، موظف، يطمع في ثروة حارث.
- ☒ عادل: أخو سامي، طالب، يدرس في كلية الصيدلة.
- ☒ ليلى: أخت عادل، مطلقة.
- ☒ أميرة: أخت ليلى، مراهقة، في المرحلة الثانوية.
- ☒ زينة: زوجة سمير، مهندسة.
- ☒ نبيل: محقق في الأمن الجنائي. وسيم الطلعة.
- ☒ رامز: مساعد نبيل.
- ☒ رنا: زوجة حارث، شقراء رائعة الجمال.
- ☒ صوفيا: صديقة رنا.
- ☒ داني: ابن حارث بالتبني، مهندس، ثري.
- ☒ أليسا: بنت حارث بالتبني، فتاة جامعية.
- ☒ أنيس: أخو حارث، رجل أعمال.
- ☒ أليدا: زوجة أنيس
- ☒ كارمن: أخت حارث غير الشقيقة
- ☒ لوسي: زوجة داني، محامية، تكبر زوجها بأربع سنوات.
- ☒ رابح: لص مشهور بفتح الشقق والخزائن.
- ☒ إلهام: خادمة عند آل حارث، سمراء، جذابة، متوسطة العمر.
- ☒ كميل: محامٍ، وكيل آل حارث.
- ☒ بشير: محامٍ مشهور في البلد.

الجريمة

بينما كان نبيل المحقق في الأمن الجنائي، والعازب، نائماً، يغطّ في أحلامه في منزله الواقع في ضواحي دمشق، أيقظه صوت الهاتف المزعج، فتململ قليلاً، ثمّ وضع الوسادة على وجهه، عسى أن يخرس رنين جرس الهاتف، لكن دون جدوى؛ فالرنين استمرّ دون انقطاع. نهض نبيل بكسل، ثم تناول السماعة ببطء:

- آلو، من المتكلم، فجاءه صوت مساعده رامز المألوف لديه.

- سيدي آسف على الإزعاج!

- ما الأمر لتوقظني في هذه الساعة المبكّرة، إن عقارب الساعة تشير إلى السابعة صباحاً.

رامز ـ سيدي هناك قتيل في شارع الروضة. إنها جريمة قتل، يبدو أن القتيل قد مات مسموماً؛ حيث تبدو علائم التسمم واضحة على وجه القتيل، وأكّد ذلك رأي الطبيب الشرعي. وقد تركنا كلّ شيء في مكانه، ولم نلمس شيئاً بانتظار قدومك سيدي.

دوّن نبيل العنوان، ورقم المنزل، ثمّ بدأ يرتدي ثيابه على وجه السرعة، وما هي إلاّ دقائق معدودات حتى انطلق بسيارته باتجاه العنوان المذكور.

وعندما وصل إلى المكان، وجده يعجّ برجال الشرطة الجنائية، الذين ضربوا طوقاً حول المكان، مانعين أياً كان من الدخول أو الخروج منه.

سارع المحقق بالولوج إلى بيت القتيل ليجد مساعده رامزاً مع الطبيب الشرعي والمصوّر بالإضافة إلى مختصين بالأمور الجنائية، ألقى عليهم التحية، مشيراً إلى مساعده ليتبعه إلى غرفة القتيل. وفي الغرفة بدأ يتفحص محتوياتها قبل أن ينظر إلى القتيل، ليرى فيها خزانة الملابس، وتلفزيوناً ملوناً مع ديجتال مقابل سرير الضحية، وهناك طاولة في وسط الغرفة مع كرسيين، ولفتت نظره النافذة التي تطلّ على الشارع مباشرة، ثم أرخى نظرة إلى القتيل، وهو متوجه ناحيته، تمعّن في الجثة المسجاة على ظهرها؛ العينان بارزتان وقد بدا عليهما الرعب القاتل، واليدان قد تشبثتا بشرشف السرير على ما يبدو من شدة الألم، الرأس مرخى إلى الجهة اليمنى من الوسادة، تفحص المحقق الجثة بعناية بعد أن لبس القفازات حتى لا تختلط بصماته مع بصمات أخرى إن وجدت. لم يجد شيئاً على الإطلاق، فأغلق عيني الضحية وهو يتمتم لنفسه: ترى هل

شاهد القتيل قاتله قبل أن يموت، أو عرف من أرسله إلى العالم الآخر، حتى تملكه هذا الخوف الرهيب لعلمه بمصيره. أعتقد ذلك، توجه نبيل ناحية الطاولة، وجلس على أحد الكرسيين مشيراً إلى مساعده بيده ليجلس إلى جانبه. الآن يا رامز أخبرني عن معلوماتك التي توصلت إليها، واسم القتيل، وعمله ومن أهله، ومن أخبرك بالحادث، أخبرني عن كلّ شيء عرفته.

رامز ـ حسناً يا سيدي، هو موظف عند الدولة، في الثامنة والعشرين من العمر، اسمه سامي، والده أستاذ مدرسة أمه زينة مهندسة زراعية موظفة أيضاً، وله أخ اسمه عادل يدرس في كلية الصيدلة، أخته ليلى ربة بيت مطلقة، ثم أخته الصغرى أميرة في الثانوية العامة. الطبيب الشرعي يعتقد أن الوفاة حدثت في حوالي الخامسة صباحاً، والدته اكتشفت الجثة، ووالده أبلغنا بذلك.

بعد سماعه المعلومات نهض عن كرسيه واتجه ناحية النافذة التي كانت مغلقة، تفحّصها قليلاً ثم جال في أرجاء الغرفة، عسى أن يجد شيئاً يفيده في التحقيق لكن دون جدوى، بعد ذلك نادى المصور وأمره أن يأخذ الصور للمجني عليه، وأتبعه بدعوة الطبيب وسؤاله عن ساعة الوفاة، ليجيبه الطبيب: من النظرة، وبرودة الجسم، أظن أن الوفاة حدثت قبل ثلاث ساعات تقريباً، أقل أو أكثر بقليل، لا أدري. من الصعب جداً التكهن

بساعة الوفاة قبل التشريح، لمعرفة سبب الموت، ونوع السم.. إلى آخر ذلك.

خرج المحقق من الغرفة إلى الصالون ليبدأ بتفحّص شقة العائلة الواقعة في الطابق الأرضي، والمؤلفة من أربع غرف عدا الصالون، غرفة القتيل تقع بالقرب من الباب الرئيسي، لفت ذلك انتباه المحقق، فبإمكان الضحية استقبال أيٍ كان من منتصف الليل إلى طلوع الفجر دون أن يدري أحد من أهل البيت بذلك، واحتمال أن يكون القاتل قد دخل البيت بناءً على موعد مع الضحية، وارد جداً. وبالتالي، في هذه الحالة، من المؤكد أنّ القتيل على معرفة وثيقة بقاتله، أما احتمال أن يكون المجرم قد دخل من النافذة فقد سقط، لكون النافذة مغلقة بإحكام، إلاّ إذا كان على معرفة تامة بمداخل البيت ومخارجه، وبالتالي على معرفة وثيقة بالعائلة، وباستطاعته عندئذ الدخول عبر النافذة ثم تنفيذ الجريمة، ويغلق بعدها النافذة ويخرج بعد ذلك بهدوء من المنزل، وكأنّ شيئاً لم يكن، والغرض من ذلك إرباك التحقيق، كل هذه الأفكار تواردت على ذهن المحقق وهو يتأمل موقع غرفة سامي. ثم تابع تفحص المنزل، فإلى اليمين من غرفة القتيل تقع غرفة شقيقه عادل، وتحاذيها غرفة الأختين، وعلى الطرف الآخر من الصالون غرفة الوالدين ثم الحمام فالمطبخ.

لم يجد نبيل ما يستحق ذكره ليساعده في كشف خيوط هذه الجريمة، حالاً بعد ذلك، انتقل إلى المرحلة الثانية من التحقيق، وهي الاستماع إلى أقوال أهل الضحية الذين كانوا أثناء هذه الفترة في غرفة الوالدين والحزن المختلط ببكائهم قد خيّم على جوّ المنزل.

❊

القاتل المجهول

جلس نبيل على إحدى الكنبات في الصالون مشيراً إلى مساعده أن يحذو حذوه طالباً منه تدوين أقوال الشهود الذين سيستمع إليهم، كلٌ على انفراد، كانت أمّ الضحية زينة أول من طلب، ولجت الأم إلى الصالون حيث يجلس نبيل، الذي نهض لتحيتها وتعزيتها، متأملاً إياها بدقة في الوقت نفسه، إنها جميلة جداً، ممشوقة القوام ـ تمتم في سره ـ نظر إليها وقد احمرّت عيناها من كثرة البكاء، قائلاً: لا عليك يا مدام، هوّني على نفسك، هذا قضاء اللّه، وإن شاء اللّه سوف نقبض على المجرم، ونقتصّ منه. أجابته باكية بصوت متهدج بالكاد يفهم: مصيبة، ماذا فعل كي يقتلوه، أريد أن أرى الفاعل وراء القضبان، لا أكاد أصدق أن أموراً كهذه يمكن أن تحدث، هذا يحدث في الروايات، وتمتمت بعد ذلك بكلمات غير مفهومة، هدّأ المحقق من روعها طالباً منها الجلوس ليبدأ استجوابها.

المحقق: الاسم - العمل - والعمر يا سيدتي.

زينة: زينة، عمري خمسون عاماً، أعمل مهندسة زراعية عند الدولة. ـ يا إلهي العمر لم يترك آثاره عليها، إنها تبدو في شرخ الشباب ـ تمتم نبيل لنفسه...

المحقق: من اكتشف الجثة، متى وكيف، ومن أبلغ عن الجريمة؟

زينة: أنا يا سيدي، جئت لأوقظه كالعادة كل صباح في الساعة السادسة، قرعت الباب منادية إياه، لكني لم أسمع رده المعتاد، كررت ذلك ثلاث أو أربع مرات دون جدوى، ظننت أنه متعب ويغط في نوم عميق، فتحت الباب ببطء والجة إلى الداخل، وحين اقتربت منه لأهزّه، هالني ما رأيت، لم أصدق عيوني للوهلة الأولى، لم أعِ شيئاً وأنا أردد إنه ميت، ركضت مولولة فأيقظت زوجي والأولاد، ولست أدري ما حدث بعد ذلك. من حين قدم رجال الشرطة بعد أن اتصل زوجي بهم، إلى هذه اللحظة، إنني لست في هذا العالم. إنني في حلم. ثم أخفت وجهها بيديها باكية بحرقة.

المحقق: تمالكي أعصابك يا مدام. لا يمكنك بالبكاء أن تغيري ما حدث، أو أن تعيدي الحياة إلى ولدك. الآن أخبريني هل لمست شيئاً، أو وجدت على الأرض شيئاً ما، يمكن أن يفيد التحقيق.

زينة: لا يا سيدي، كيف لي أن أفعل ولم أكن في حالة تتيح لي ذلك.

المحقق: أريد أن أعرف تفاصيل تحركات ولدك ليلة الجريمة، بدقة متناهية، تذكري كلّ صغيرة لأنها يمكن أن تكون هامة جداً في التحقيق.

زينة: بعد قيلولة الظهر، وفي حوالي الساعة الخامسة مساءً، غادر ابني المنزل، وعاد بعد حوالي ساعتين تقريباً، حيث كنا نحن أفراد العائلة جالسين نتسامر بأحاديث مختلفة في انتظار قدوم بعض المعارف والأقرباء للسهر عندنا، بعد الساعة الثامنة مساءً بدأ الزوار بالحضور تباعاً، حارث وزوجته رنا، ومعهما أخته غير الشقيقة كارمن، إنه يمتّ لزوجي بصلة قرابة، ليصل بعده ابن حارث بالتبني داني مع زوجته لوسي وبرفقتهما ابنة حارث بالتبني أيضاً أليسا. جلسنا نتحدث في أمور كثيرة، سهرة ممتعة تخللها الضحك والمزاح، ولم يحدث فيها شيء غير عادي، قبل الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بربع ساعة تقريباً غادرنا الجميع تباعاً، طبيعي بعد ذلك ذهب الأولاد للنوم بمن فيهم سامي، أنا وزوجي أوينا إلى الفراش بحلول الساعة الواحدة تقريباً بعد منتصف الليل.

المحقق: هل سمعتِ أو تراءى لك أصوات أو حركة خافتة غير مألوفة بعد هجوعك إلى الفراش خلال الليل؟

زينة: لقد استغرقت في النوم مباشرة، لا أعرف، لأن نومي عميق.

المحقق: الآن أخبريني عن الضيافة التي قدمت، هل لاحظتِ أنّ أحداً من الحاضرين اعتذر عن تناول شيء مما قدم، أيضاً حاولي أن تتذكري مكان جلوس كل واحد منكم.

زينة: الضيافة - أوه - نعم، في البداية أكلة التبولة، وبعد ذلك الموالح بأنواعها ثم الكاتو وأخيراً القهوة، وقد شارك الجميع في تناول ما قدّم لهم، أما أماكن الجلوس؛ سوف أبدأ من سامي الذي جلس على طرف الطاولة من اليمين، إلى جانبه حارث ثم زوجته، فابنتي ليلى وإلى جانبها أميرة، وعلى الطرف الآخر من الطاولة جلس داني مقابل سامي تليه زوجته لوسي فكارمن ثمّ أنا وزوجي، وكانت أليسا على الطرف ما بين زوجي وأميرة، وأخيراً ابني عادل مابين سامي وداني مقابل أليسا.

المحقق: حسناً، الآن أجيبيني بصراحة عن علاقاته الاجتماعية بشكل عام والنسائية بشكل خاص.

زينة: وقد ظهر عليها الارتباك بشكل واضح وهي تجيب لا أعلم شيئاً عن ذلك، لم يتحدث إليَّ عن معارفه من النساء أو غيرهن إطلاقاً، بدا عليها التردّد لحظة، لكنها استأنفت لتقول: المرحوم أحبّ ابنة حارث أليسا وطلبها للزواج لكن والدها رفض ذلك.

المحقق: هيه، لماذا رفضه والدها، وهل أليسا بادلته نفس الشعور؟

أجابته زينة بفتور واضح، رفضه بحجة أن ابنته لم تنه دراستها بعد، كما أني أعتقد أن أليسا أحبته.

المحقق: هل تشكين في أحد؟

زينة: لا، لا أشك في أحد، على حد علمي أن سامي لم يخاصم أحداً، ليس له أعداء، لا بل إن الجميع يحبونه، لا أدري لماذا قتلوه، ثم أجهشت بالبكاء.

أشار المحقق بيده لرامز قائلاً له: أعطها المحضر لتوقع عليه، ثم ختم تحقيقه مع زينة بالقول: إذا تذكّرتِ أي شيء مهما كان تافهاً بنظركِ أخبريني به، لأنه يمكن أن يكون نافعاً في التحقيق.

بعد الأم، استدعى المحقق والد القتيل، وعندما دخل سمير، تمعنه نبيل ملياً، لقد كان طويل القامة، حنطيّ اللون، أقرب إلى الدمامة بملامحه الغجرية على خلاف زوجته، بدا متماسك الأعصاب، رابط الجأش برغم فداحة المصيبة، علم المحقق خلال التحقيق أنه أستاذ مدرسة ابتدائية، عمره خمسون عاماً، ولم تختلف إفادته عمّا أدلت به زوجته زينة.

تم التحقيق مع باقي أفراد العائلة، أخ القتيل عادل وسيم الملامح في الثانية والعشرين من العمر، يدرس في كلية

الصيدلة، أخت القتيل ليلى عادية المظهر في الخامسة والعشرين من العمر مطلقة تعيش مع أهلها وغير موظفة، أخت القتيل الصغرى أميرة يمكن القول إنها جذابة، في الثامنة عشرة من العمر، سنة أخيرة ثانوية عامة.

غادر المحقق ورامز المنزل بعد انتهاء التحقيق مع العائلة المنكوبة بموت أحد أفرادها دون أن يحصل على معلومات مهمة تفيد التحقيق، والجميع أعطوا إفادات متطابقة مع ما أدلت به الأم.

في اليومين التاليين استمع إلى إفادات باقي الشهود من ضيوف تلك الليلة المشؤومة، وأول من طلب الاستماع إليه كانت رنا زوجة حارث قريب سمير، عندما دخلت إلى مكتبه ذُهل نبيل من جمالها، شقراء طويلة القامة ممشوقة القوام، عينان خضراوان تشعان أنوثة طاغية، لم يتوقع نبيل على الإطلاق أن تكون بمثل هذا الحسن، أفاق من ذهوله على صوتها وهي تقول بارتباك واضح: ماذا أستطيع أن أخدمك يا سيدي؟

المحقق: تفضلي بالجلوس يا سيدتي، وبعد أن جلست تابع الحديث، الآن أخبريني عن العمر والتحصيل العلمي والعمل.

رنا: عمري ثمانية وأربعون عاماً، حاصلة على الشهادة الثانوية، ربة بيت، ولي ابن وابنة بالتبني.

نظـر إليهـا مليـاً، لأنهـا تبـدو أصـغر مـن سـنها بكـثير، إذ لا يمكــن لمــن يشــاهدها أن يعطيهــا أكــثر مــن ثلاثــين ســنة مــن العمر، مرت لحظات قليلة قبل أن يتابع التحقيق.

المحقق: أخبريني عن علاقة عائلتكم مع عائلة المجني عليه.

رنا: علاقتنا وثيقة مع عائلـة سمير، بالإضـافة إلى صلة قرابـة بـين حـارث وسمـير، هنـاك صـداقة متينـة وقويـة بيننـا منـذ فـترة طويلة نسبياً.

المحقق: من تعتقدين أن بإمكانه قتل سامي حسب رأيك؟

أجابـت رنـا وقـد بـدا عليهـا الاضـطراب مـع شـحوب واضـح في وجههـا: ومـن أيـن لـي أن أعـرف يـا سـيدي؟ كـل مـا أعلمـه أنـه لم يكن له أعداء. ثم هزّت رأسها وتابعت: ما حـدث شـيء مـؤلم غـير متوقع، لو كنت أعلم أمراً مهماً لما تـرددت في إخبـارك. ثـم سـألها نبيـل عـن تفاصيل أحـداث السـهرة ليلـة الجريمـة، وجـاءت أقوالهـا مطابقة لأقوال سمير وعائلته خاتمة الإفادة بابتسـامة حزينـة قائلـة: لقد كانت سهرة ممتعة ضحكنا ومزحنا فيها كثيراً.

المحقق: هل لديك شـيء آخر تذكـرينه؟

رنــا: لا يــا ســيدي ثــم تــرددت قلــيلاً قبــل أن تضــيف: لقــد تـذكرت أمـراً، لسـت أدري هـل تهيـأ لـي ذلـك، علـى كـل حـال لست واثقة.

المحقق: شجعها قائلاً: لا عليك تكلمي، يمكن أن يكون ما ستقولينه مهم جداً للتحقيق.

رنا: لاحظت خلال السهرة عادلاً يرمق أخاه سامي بنظرات غاضبة، كيف يمكن أن أسميها لك؟ نظرات تنم عن سخط أو ما شابه ذلك، ومن الممكن أن أكون على خطأٍ.

المحقق: هل تعرفين سبباً ما يدعو عادلاً إلى الحنق على أخيه سامي؟

ردت رنا بارتباك واضح: -لا- لا أعرف، كل ما في الأمر هذا ما تراءى لي.

المحقق: حسناً يا رنا، ثم دفع المحضر نحوها لتوقعه، وإذا تذكّرتِ أيّ شيء آخر لم تذكريه الآن أخبريني.

بعد مغادرتها مكتب نبيل، نظر هذا إلى مساعده رامز قائلاً: أظن أن هذه المرأة تعرف معلومة ما أخفتها عنا، وقد لاحظت ارتباكها عندما سألتها بمن تشك أنه القاتل، أغلب الظن أنها لم تقل كل ما تعلمه، على كل حال سيكون لنا لقاءات أخرى معها وسنرى إن كان ظني في محله.

في اليوم التالي اطّلع على تقارير المختصين الجنائيين، أول ما قرأ تقرير الطبيب الشرعي الذي يقول إن المجني عليه مات مسموماً بمواد كيميائية سائلة وسامة ممزوجة ببعضها لتؤلف سماً قاتلاً ينتشر ببطء في الجسم وتأثيره لا يظهر إلاّ بعد فترة

زمنية تتراوح بين الساعتين إلى ثلاث ساعات على وجه التقريب، هذا النوع من السموم يحدث في البداية آلاماً مغصية بسيطة حتى الدقائق الأخيرة، حينها يكون مفعوله قد بلغ أقصاه، عندها يكون الألم شديداً جداً، والضحية مشلول الحركة تماماً قبل أن يسلم الروح، أما الوفاة فقد حصلت مابين الساعة الثالثة إلى الرابعة صباحاً

انتقل بعدها إلى التقرير الثاني عن بصمات الأصابع التي أُخذت من أماكن معينة في المنزل ولم يجد فيه شيئاً يستحق الذكر، أخيراً انتقل إلى التقرير الثالث والأخير لينفي وجود السم في فنجان القهوة الذي شرب منه القتيل، وبأن البصمات الموجودة على الفنجان هي لصاحبة البيت زينة وابنها القتيل فقط.

استغرق المحقق في تفكير عميق بعد قراءة التقارير حول الجريمة. أول ما خطر بباله أن سامي لا بد أنه تجرّع السم ما بين الساعة الواحدة إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل حسب تقرير الطبيب الشرعي عن الوفاة، بالتالي عدم وجود السم في فنجان القتيل لا يعطي صك براءة للموجودين لأنهم جميعاً غادروا منزل الضحية قبل الواحدة من منتصف الليل بحسب إفادات جميع الموجودين، بالتالي بإمكان أي واحد منهم العودة خلال ساعة من الوقت إلى بيت القتيل وارتكاب الجريمة، أو أن القتيل كان على موعد مع قاتله الذي حضر بعد ذهاب

الضيوف وانتهى به التفكير إلى أن القاتل استعمل هذا النوع من السموم لإرباك التحقيق، ولا بد أنه داهية أريب، لأنه اختار وقت الجريمة بحيث يكون عدد المشتبه بهم كبيراً، همس نبيل عندها بصوت مسموع: لعمري إننا أمام قاتل ذكي جداً، علينا التعامل بجدية كبيرة مع هذه القضية وإلاّ فإن المجرم سيهرب من وجه العدالة.

في الأيام التالية استكمل نبيل التحقيق مع كارمن الأخت غير الشقيقة لحارث، في الخمسين من العمر، عانس لم تتزوج برغم أنها تبدو مثيرة كأنثى، ومع داني ابن حارث بالتبني في السادسة والعشرين من العمر، متوسط القامة، عادي المظهر ثريٌّ ومن ثم مع زوجة داني، لوسي، جميلة المظهر إلى حدّ ما. محامية تكبر زوجها بأربع سنين؛ ليكمل التحقيق أيضاً مع أليسا ابنة حارث بالتبني، في العشرين من العمر، طويلة القامة، ونحيفة، لا بأس بجمالها، سمراء لكنها جذابة، تدرس الحقوق، وقد سألها المحقق عن حقيقة شعورها وعلاقتها مع المجني عليه؛ لتجيبه ووجهها قد احمرّ من الخجل وهي مطرقة برأسها إلى الأرض أنها أحبته كثيراً وأنه بادلها الحب، وبأن علاقتهما بريئة لم تتجاوز الحدود، لكن والدها رفض القتيل كزوج لها بحجة أنها لم تتم دراستها بعد.

جميع الإفادات عن أحداث ليلة الجريمة لم تختلف عن تلك التي أدلت بها زينة، أخر من استدعاه للتحقيق هو الثري الكبير صاحب الأملاك الواسعة حارث.

حارث أشرف على الستين عاماً، طويل القامة، وسيم الشكل، يبدو أصغر بكثير من عمره الحقيقي ولا عجب في ذلك، فهو ثري كبير يملك المال وبالتأكيد لم يشقَ في حياته، أضف إلى ذلك وسامته فهو بالتأكيد من النوع الذي يستهوي النساء، عندما جلس أمام المحقق بادره هذا بسؤال عجيب: من هو الوارث لك في حال موتك؟

نظر حارث إلى المحقق باستغراب قبل أن يجيب: فأل سيئ يا سيدي، حسناً في حال موتي معظم أملاكي تذهب إلى ابني داني، ابنتي أليسا وزوجتي رنا، هنالك مبالغ صغيرة نسبياً لأخي أنيس وأختي كارمن، كما أن هناك نصيباً صغيراً من أموالي وممتلكاتي لدور الأيتام والعجزة.

المحقق: من تعتقد أنه القاتل، هل تشك بشخص ما؟

حارث: ليس عندي فكرة عن ذلك أبداً ولا يمكن أن أتصور أن يكون فرد منا نحن الذين كنا موجودين قد ارتكب هذه الجريمة.

المحقق: لماذا أنت واثق من ذلك، قد يكون الفاعل فرداً منكم لسبب نجهله حتى الآن قد قام بفعلته.

حـارث: صـلتنا العائليـة مـع بعـض متينـة، إضـافة إلى صـلة القرابـة، زد علـى ذلـك لا أحـد منـا يسـتفيد مـن موتـه، لا يوجـد الدافع للقتل، قد يكـون لـه أعـداء لا نعـرفهم، لسـت أدري مـاذا أقول.

المحقق: سمعت أن السهرة كانت ممتعة جداً ومع ذلك انتهت بمأساة ما رأيك.

حارث: نعم، نعم، كانت سهرة رائعة، لكن هذا ما حصل مع الأسف.

المحقـق: هـل تعلـم بحكـم علاقتـك بالعائلـة المنكوبـة. وصلة القرابة بها عن خلاف ما بين سامي وأخيه عادل بسبب معين، هل لاحظت نظرات عدم استساغة بين الأخوين ليلة الجريمة، أو قبل ذلك.

حارث: لا - لا- العلاقة الأخوية بينهما كانت قوية جداً هذا ما أعلمه، ولم ألحظ نظرات شذر متبادلة بينهما على الإطلاق لا ليلة الجريمة ولا قبلها.

دفـع نبيـل بالمحضـر أمـام حـارث ليوقعـه، وقبـل أن ينصـرف حارث مغادراً مكتب المحقق استوقفه نبيل قائلاً: سؤال أخير من فضلك هل تحب زوجتك، حقاً إنها فاتنة.

أجاب حارث وهو ينظر إلى المحقق مدهوشاً من هذا السؤال: شكراً يا سيدي على إطرائك جمال زوجتي، بالطبع أحبها، تزوجتها بعد حبٍّ قويّ ربط بيننا ازداد متانة مع مرور السنين.

بعد انتهاء التحقيقات أخذ نبيل يفكّر، ولم يستطع الإمساك ولو بخيط بسيط يعطيه بصيصاً من النور يقوده إلى الفاعل، من إفادات الشهود ظهر أن الجميع شاركوا في الشرب والأكل، وآثار السم غير موجودة على الإطلاق في فنجان قهوة سامي، إذا لم يكن الفاعل من بين الحضور فمن يكون إذن؟

خلص إلى نتيجة على أنها جريمة محبكة بإتقان، خُطِّطَ لها بروية وإحكام، أستطيع القول نتيجة خبرتي الطويلة في هذا المجال إنها الجريمة الغامضة وعليَّ أن أنتظر الخطوة التالية للقاتل، عساه يرتكب خطأ ما يمكن من خلاله أن أمسك بطرف الخيط.

✵

محاولة قتل

مضى أكثر من شهر على الجريمة وبدأت الأمور تعود إلى طبيعتها عند العائلة المنكوبة، لم يتوقف خلالها حارث وعائلته عن زيارتهم ومواساتهم لما أصابهم، مما خفف بعض الشيء من آلامهم.

في مساء أحد الأيام بينما رنا كانت عائدة من منزل زينة توقفت وهي في طريقها إلى منزلها عند سوبرماركت اعتادت دائماً أن تأخذ منه حاجياتها المنزلية، وقفت السيارة مقابل المحل وكالعادة خطت لتقطع الطريق بعد أن لاحظت خلوّه من السيارات، حين قاربت على اجتيازه إذ بسيارة منطلقة بسرعة كبيرة تمر كادت أن تصدمها لولا أنّ أحد الواقفين على الرصيف لاحظ السيارة المسرعة، مدركاً الخطورة التي تتعرض لها هذه المرأة، بلمح البصر جذبها بسرعة وقوة ناحيته، لتتعثر وتسقط على الرصيف من شدة الجذب منقذاً بذلك حياتها من موت محقق، نهضت رنا من وقعتها مذهولة وغير مصدقة ما جدث، ثمّ توجهت ناحية المنقذ ووجهها ممتقع، شاحب يحاكي وجوه الموتى، لتشكره على إنقاذها بعدما

استوعبت أنه لولا العناية الإلهية ومساعدة هذا الشخص لكانت الآن في العالم الآخر، خُيِّلَ إليها في تلك اللحظات الرهيبة أن شخصاً ما أراد قتلها، لكنها سرعان ما طردت هذا الهاجس من ذهنها هامسة بصوت خافت لابدّ أنه سائق مجنون أو سكران، كما أبدت شكرها العميق للمنقذ وحاولت أن تعطيه بعض المال، رد عليها بأنه لم يقم سوى بواجبه ورفض المال الذي قدمته له، لتنتبه بعد ذلك على أصوات الناس الذين التفوا حولها، هذا يشتم السائق وذاك يهنئها على سلامتها، آخر يتمتم بكلمات غير مفهومة، بصعوبة بالغة تخلصت من الجميع لتعود إلى سيارتها راجعةً إلى المنزل.

وجدت رنا زوجها في المنزل جالساً على الكنبة يقرأ إحدى الصحف اليومية، حيّته بارتباك ملحوظ على غير عادتها، لاحظ حارث ذلك، بعد أن ردّ التحية بابتسامة سألها: يبدو عليكِ الارتباك يا حبيبتي، كما أن الشحوب واضح على محياكِ، أخبريني ما الأمر؟ رمت نفسها بأحضانه ثم أخبرته بصوت متهدج بالحادث، هدّأ من روعها وطبع قبلة حارة على شفتيها ليقول لها بعد ذلك: يجب أن أخبر الأمن الجنائي بذلك، ربما كانت محاولة قتل أيتها الحبيبة. ردت عليه: لا تتسرع يا حبيبي أعتقد أنها مصادفة وكم من الناس يومياً يتعرّضون لذلك

بسبب رعونة بعض السائقين. أجابها: هذا واجبي يا رنا، ثم توجه ناحية الهاتف ليطلب نبيل.

عندما سمع المحقق صوت حارث أصابته الدهشة لهذا الاتصال المفاجئ، لكن عندما أخبره حارث بما حدث لزوجته زالت الدهشة، بل يمكن القول أصابه الهلع طالباً من الزوج أن يبقى في المنزل لحين حضوره.

لم يتطلب حضور المحقق لمنزل حارث وقتاً طويلاً، استقبلته على الباب امرأة في مقتبل العمر، سمراء جميلة والتي بادرته بالقول فور رؤيته: يمكنك الدخول سيدي بانتظارك. استقبله المضيف وزوجته في الصالون ببشاشة وبعد تبادل التحية والاطمئنان على الصحة كالعادة عند قدوم الضيوف، توجه المحقق مباشرة إلى رنا قائلاً لها لندخل مباشرة في صلب الموضوع، أرجو أن تخبريني عن تفاصيل ما حدث. تنهدت رنا بعمق فبل أن تسرد له ما تعرضت إليه خاتمة القول: أعتقد أنه كان سائقاً متهوراً، الحمد لله أنني نجوت بأعجوبة.

المحقق: لماذا لا يكون ذلك محاولة قتل يا سيدتي، ربما تعرفين معلومة ما لا تدرين أنت أهميتها تشكل خطراً على القاتل فرأى أن يسكتكِ إلى الأبد.

رنا: لا أعتقد ذلك ولا أشاطرك الرأي، لماذا يريد أحد قتلي ثم إني أخبرتك بكل ما أعرف في موضوع سامي.

نظر نبيل إليها ملياً ثم أردف: أرجو أن تعصري ذهنكِ، أن تتذكري، ما زلت أعتقد أنكِ تشكلين خطراً على المجرم الذي قتل سامي.

أجابت رنا وقد بدأ الغضب يسيطر عليها: لقد أخبرتكم بكل شيء، كل ما أعرف، ليس لدي أمر أخفيه عنكم يا حضرة المحقق.

المحقق: ملتفتاً إلى حارث: ما رأيك بما حدث، هل ترى ذلك مصادفة أم لك رأي آخر.؟

حارث: لست أدري ما أقول، لذلك رأيت أن أضع الأمر بين يديك، الإنسان عليه أن يكون حذراً في هذه الأيام وخصوصاً بوجود مجهول، قد يقدم على أي فعل إن أحسّ بالخطر محدقاً به.

المحقق: حسناً يا رنا هل لاحظت نوع السيارة، لونها، لوحتها؟

رنا: لا لم أر شيئاً فقد جذبني منقذي جزاه اللّه خيراً بسرعة وقوة فوقعت وعندما نهضت كانت السيارة قد اختفت عن الأنظار.

المحقق: برغم احترامي لرأيك ما زلت أعتقد أنك في خطر، كوني حذرة واحترسي جيداً إن هناك من يحاول قتلك وإن

حالفك الحظ هذه المرة سيحرص الفاعل في المرة القادمة أن يكون أكثر دقة.

ثم نظر إلى حارث قائلاً: نصيحتي لك أن لا تدع زوجتك تذهب لوحدها إلى أي مكان، إلى أن يتم الكشف عن قاتل سامي، على كلٍّ يا رنا أرجو أن تذكري لي عنوان مكان الحادث بالضبط.

دوّن المحقق المعلومات ثم استأذن مودعاً ولم ينس أن يتفحّص هذه الفيلّلا الفاخرة بفرشها الأنيق والتحف الفريدة الموجودة في أرجاء الفيلّلا المحاطة بحديقة كبيرة وجميلة داخلها مسبح أنيق، تأوّه حسرة وهو يقول: آه منكم أنتم الأثرياء.

✱

السيارة الزرقاء

استدعى نبيل مساعده رامزاً مكلفاً إياه البحث عن إمكانية معرفة السيارة من قبل الشهود أبناء المنطقة التي تم فيها الحادث بعد أن أعطاه العنوان، بعد يومين من التحقيق أبلغ رامز رئيسه بالنتيجة التي كانت مرضية نوعاً ما، لوحة السيارة لم يتمكن أحد من معرفتها أو تدوينها حيث اختفت السيارة في ثوان نظراً للسرعة الكبيرة التي كانت تسير بها، لون السيارة أكّد جميع الشهود أنها زرقاء فاتحة اللون، أما نوعها فأغلب الشهود أكّدوا أنها ماركة غولف، إنها معلومات غير كافية قال نبيل لمساعده هناك عشرات السيارات غولف زرقاء في المدينة، لكن أطلب منك أن تتحرى هل أحد من أقرباء أو معارف حارث أو سمير يملك مثل هذا النوع من السيارات وأعلمني بالنتيجة فوراً.

في اليوم التالي توجه نبيل إلى منزل أنيس، الذي يدلّ منظره الخارجي على التواضع بخلاف سكن أخيه الفاخر، فتحت له الباب بعدما رن الجرس سيدة جميلة متوسطة القامة قدّر عمرها بحوالي الأربعين عاماً، بادرته القول: أي خدمة؟ ردّ عليها

المحقـق بعـد أن أراهـا شـارته أنـه يبغـي مقابلـة أنـيس. رحبـت المضيفة به داعية إياه للدخول معرّفة عن نفسها بأنها اليدا زوجة أنـيس. قادتـه إلى الصـالون لـيجلس ريثمـا تخـبر بعلـها. مـا هـي إلاّ دقائق معدودة حتى دخل عليه رجل طويل القامة وسيم الوجه، قدّر عمره بالخمسين عاماً، بادره المضيف بالتحية قائلاً، وهو يبتسم: على الرحب والسعة يا سيادة المحقق، إنها زيارة غير متوقعة، عسى أن يكون الأمر خيراً. متابعاً القول بعد أن جلس قبالة نبيل: ماذا أستطيع أن أخدمك؟

المحقق: هل سمعت عن حادثة زوجة أخيك قبل أيام، وعن نجاتها بأعجوبة من موت محقق.

أنيس: بالطبع أخبرني أخي بذلك في نفس اليوم وقد ذهبنا أنا وزوجتي في اليوم التالي للاطمئنان عليها وتهنئتها بالسلامة.

المحقق: لا أخفي عليك سبب حضوري، أوصاف السيارة التي كادت تسبب مقتل امرأة أخيك تطابق أوصاف سيارتك على شهادة الشهود، ماذا لديك؟

أجاب أنيس والغضب الشديد أخذ منه مأخذه مع اصفرار وجهه: أتتهمني بأني أنا الفاعل، من أين لك الحق أن تأتي إلى بيتي وبكل بساطة توجه لي التهمة؟

المحقق: لا - لا تسئ فهمي إني لا أوجه إليك أي اتهام، إنه التحقيق وعليّ معرفة كل أمر يتعلق بمحاولة قتل، هذه هي طبيعة عملي.

رد أنيس بسخرية: هل زرت بيوت كل من يملك مثل أوصاف سيارتي ووجهت إليهم التهم؟

المحقق: متجاهلاً ذلك الجواب الساخر، وهو معتاد لطبيعة عمله على مثل هذه الردود: هل يمكن أن تخبرني أين كنت في يوم الحادث بين الساعة السادسة والسابعة مساءً.

أجاب أنيس بعد أن تمالك نفسه: باعتبار أن أخي أخبرني بالحادث ليلة وقوعه أتذكر بالتمام مكان وجودي، أهذا ما تبغيه، حسناً، لقد سبق وذكرت لك أنني ذهبت في اليوم التالي للاطمئنان على زوجة أخي لكوني في تلك الليلة لم أستطع الذهاب لوجود ضيوف عندي، معطياً إياه أسماء الضيوف مع العناوين مستأنفاً القول: يمكنك أن تتأكد منهم عن ذلك وعن الوقت، لأنهم كانوا موجودين عندي من الساعة الخامسة إلى العاشرة مساءً تقريباً.

المحقق: إنك تعجبني، لكن هل لي أن أسألك عن أمر آخر متعلق بجريمة مقتل سامي؟ رد أنيس: تفضل، ما المانع سؤال وجواب.

المحقق: القتيل سامي يمت إليكم بصلة قرابة هل عندك أي فكرة أو معلومة مهما كانت بسيطة عن رأيك في تلك الجريمة الغريبة؟

أنيس: ليست لديّ أي فكرة عن ذلك، لكن لمَ تسميها بالجريمة الغريبة؟

المحقق: لأن التحقيقات التي قمت بها حتى الآن مع الشهود تفيد بأن سلوكه حسن، ليس له أعداء ولا يستفيد من موته أحد.

هزّ أنيس برأسه وبدا عليه التردد للرد ثواني معدودة، لكن أخيراً قال: سامي كان سيئ الأخلاق، لا أدري لم يتجاهل معارفه وأقاربه حتى أهله ذلك، أعتقد أنه استحقّ هذه النهاية، وأقول لك بكل صراحة وبلا مبالغة إنه كان طامعاً بثروة أخي حارث عن طريق الزواج بابنته أليسا، لذلك رمى شباكه حولها مدعياً أنه يحبها والحقيقة غير ذلك تماماً.

المحقق: ربما أحبّ سامي أليسا بصدق، لِمَ تجزم بغير ذلك، ولماذا الحكم عليه بالسوء؟ هل تعرف أمراً ما لا يليق أو ما شابه ذلك؟

ابتسم أنيس قائلاً بامتعاض: إني أعتقد أن بعض معارفه وأهله يعرفون أنه أحبّ امرأة أخرى حباً جنونياً، كان يلتقي معها سراً، لكن لا أنا ولا من يعلمون بهذا الأمر يعرفون من هي تلك المرأة وأغلب الظنّ أنه خطط للزواج من أليسا كخطوة أولى

للحصول على الإرث، وللتخلص منها بعد ذلك، لكن يد العدالة سبقته ليصبح هو الضحية.

المحقق: كيف علمت بأمر هذه العلاقة؟

أنيس: عندما كنت ألتقي والديه كنت أسمع منهما عن غيابه الليلي المتكرر ويشكّان، إن لم يكونا يعرفان، بأن له عشيقة يخلو معها في مكان ما بين الحين والآخر، ولم يكونا راضيين عن ذلك.

المحقق: هل علمت أليسا بأمر هذه العلاقة؟

أنيس: أليسا فتاة بريئة، وقعت في حبائله وأحبته بجنون وبالتالي صمّت أذنيها عن كل ما شاع عنه.

المحقق: يخيّل إليّ أنك لا تحب سامي.

أنيس: لا - لا أحبه ولم أحبه يوماً أبداً، إنه فاسد الأخلاق لا يتورّع عن أي شيء في سبيل الحصول على المال وإشباع نزواته، لي خبرة كبيرة بمثل هذه النوعيات صدق ما أقول لك، ولا أعتقد بل أجزم بأن التحقيقات التي ستكتمل إن اكتملت ستظهر هذه الحقيقة.

المحقق: إنك تعجبني بصراحتك التي لم أشهدها من الآخرين. لقد أفدتني كثيراً بهذه الإفادة إنها على ما أعتقد بداية الخيط، ولكن قل لي هل لديك أية فكرة عمّن يمكن

أن يعطيني معلومات أكثر بخصوص هذه العلاقة التي كانت قائمة بين القتيل والمرأة المجهولة؟

أنيس: بالتأكيد أقرب الناس إليه، إني على ثقة بأن أخاه عادل الذي هو على النقيض منه تماماً لديه فكرة عن ذلك.

شكر نبيل مضيفه أنيساً على هذه المعلومات القيمة، وغادر منزله. كان نبيل غارقاً في التفكير وهو يقود سيارته، مفكراً بكلّ كلمة قالها أنيس، إنها معلومات هامة جداً، إنها البداية، عشيقة سامي هي مفتاح اللغز، إن علمت من هي هذه المرأة المجهولة، أصبحت على مرمى حجر من حلّ هذه الجريمة الغامضة، الآن عليّ مقابلة عادل مرة أخرى وهذه المرة سأضغط عليه ليبوح لي بكلّ ما يعلمه، ثم فجأة، تذكر أيضاً شهادة رنا عن عدم استساغة عادل لأخيه، مما زاد في اعتقاده أن عادلاً بالفعل يعلم بعض التفاصيل التي احتفظ بها لنفسه. بداية الخيط مرهونة بما يعلمه شقيق القتيل عن تلك المرأة.

❧ ✸ ❧

اعترافات عادل

ضغط نبيل زر جرس بيت سمير لتفتح له ليلى الباب والتي فوجئت برؤيته وظهر عليها الارتباك، لتقول له: اعذرني لهذا الارتباك في الحقيقة لم أكن أتوقع حضورك، ماذا أستطيع أن أخدمك؟ ابتسم لها بلطف قائلاً: لا عليك يحدث ذلك لنا جميعاً، هل عادل موجود؟ أجابته: نعم إنه في غرفته تفضل. وقادته إلى الصالون، انتبه نبيل إلى صوت عادل وهو يحييه قائلاً: لقد طلبتني يا سيادة المحقق، ردّ له التحية طالباً منه الجلوس قائلاً: نعم لقد طلبتك، إني سأطرح عليك بعض الأسئلة، وآمل منك الصراحة كما أرجو أن لا تخفي عني أية معلومة تفيد التحقيق لأن إخفاء مثل هذه المعلومات تعتبر إعاقة للتحقيق ويترتب عليها مسؤوليات، أرجو أن تكون قد فهمتني جيداً وأدركتَ ما أعنيه.

عادل: لقد قلت لك في المرة الماضية كل ما طلبته مني، لماذا تعتقد أنني أخفي شيئاً عنك يفيد التحقيق؟

المحقق: لقد علمت بطريقة ما أن أخاك لم يكن مستقيماً، أنت أخوه وأقرب الناس إليه، لابدّ أنك تعلم عن سلوكياته الكثير، لكن قبل أن تجيبني أين أفراد عائلتك؟

عادل: كلٌّ في عمله وأختي أميرة في المدرسة.

المحقق: هذا جيد يمكنك إذن أن تتكلم بصراحة، لا أحد يسمعنا. تململ عادل في جلسته، وقد بدت عليه علائم الحيرة والاضطراب، وبعد دقيقة من التردد قال: حسناً عليّ الاعتراف بسوء سلوكياته.

المحقق مشجعاً: تابع حديثك، كل شيء تقوله سوف يكون مهماً للتحقيق وكشف غوامض هذه الجريمة.

عادل: حسناً لم أكن أستسيغه برغم أنه أخي، أناني، حبه لنفسه وغروره لا يضاهى، لم يكن يتورّع عن فعل أي شيء يجلب له المال ويحقق نزواته ورغباته، باختصار هو إنسان المال هدفه الأول والأخير.

المحقق: علاقاته النسائية، ماذا تعرف عنها؟ ثم أخبرني معلوماتك عن العشيقة التي أحبها وهام بها.

نظر إليه عادل باستغراب، لأنه على ما يبدو لم يكن يتوقع أن يعرف المحقق بأمر هذه العلاقة ليهزّ رأسه قائلاً: حسناً لا أدري كيف توصلت إلى معرفة ذلك، لأنه كان في غاية الحذر والحيطة من ناحية هذا الموضوع، والسبب على ما أعتقد أن

محبوبته متزوجة بل أستطيع الجزم بذلك، وربما هي من عائلة محافظة أو ما شابه ذلك، ومعرفتها ستكون كارثية بالنسبة له ولها، أنا الوحيد الذي كنت عالماً بذلك، الأهل كانوا يشكّون بذلك نتيجة التغيّر الذي طرأ عليه وغيابه الليلي المتكرر، أما بالنسبة لعلاقاته النسائية الأخرى بالتأكيد كان له علاقات كثيرة قبل علاقته بهذه المرأة المجهولة وبعدها.

المحقق: حدثني هل تعرفها؟ أو تشك في من تكون، ومتى علمت بأمر هذه العلاقة؟ تكلم لقد بدأتَ تثير فضولي ودهشتي، إضافة إلى رغبتي في كشف الفاعل وإغلاق ملف هذه الجريمة.

عادل: منذ حوالي السنة تقريباً على ما أظن، نشأت هذه العلاقة، فجأة بدا التغيير في نمط حياته واضحاً، غيابه الليلي المتكرر عن البيت بين الحين والآخر، العشق والهيام بدا جلياً عليه، ولم يكن ليخفي ذلك في تصرفاته، يدندن بأغاني الحب كالمراهق وعلى غير عادته، كل شيء فيه أشار إلى أن هناك حباً جارفاً لامرأة ما دخل حياته، نعم هذه هي الحقيقة لكني مع الأسف لم أستطع التوصل إلى معرفتها.

المحقق: هيا - هيا تابع لابد أنك تعرف المزيد.

عادل: لقد حاولت كثيراً وبطرق مختلفة معرفتها لكن دون جدوى، فقد كان ذكياً، ولابد أنه شك أو علم أنني أحاول

معرفتها فازداد حرصه وأخذ جانب الحيطة في تحركاته، ولكني مع ذلك توصلت إلى معرفة البيت الذي يلتقون فيه، هذا كل ما أعرفه.

هبَّ المحقق عن كرسيه بعصبية عندما سمع بأمر البيت وقد جحظت عيناه من المفاجأة ناظراً إلى عادل بحنق قائلاً له بغضب شديد: البيت أيها الأحمق؟ لماذا لم تخبرني عنه من البداية؟ ألا تدري أهمية ذلك؟ الآن مضى وقت طويل على هذه الجريمة. وآمل أن لا يكون القاتل يعرف بأمر هذا البيت، وإلاّ فإنه سيكون بالتأكيد قد سبقني إليه أيها الغبي.

عادل: لم أكن أرغب بفضح سلوكيات ميت، احتراماً للموت وله، ولكن بعد معرفتك بأمر العشيقة المجهولة لم يعد هناك داع لإخفاء ذلك.

دوّن نبيل العنوان ثم خرج مسرعاً لا يلوي على شيء.

❁

عش الغرام

انطلق نبيل بسيارته بسرعة كبيرة باتجاه العنوان المذكور المدوّن في دفتره، والواقع في أحد ضواحي دمشق البعيدة، وهو يأمل أن لا يكون المجرم قد سبقه إليه.

أوقف سيارته في مكان قريب من المنزل، ترجّل من سيارته مهرولاً باتجاهه، لما وصله لاحظ أنه بيت صغير، قديم بعض الشيء وبعيد نوعاً ما عن البيوت المجاورة له، إنه بالتأكيد رخيص الثمن لكنه يفي بالغرض الذي من أجله استأجره أو اشتراه القتيل، عندما وصل إلى الباب الخارجي وجده مفتوحاً بعملية خلع واضحة، حينها أدرك المحقق أن القاتل عارف بأمر عش الغرام هذا وقد سبقه إليه مما أثار سخطه وغضبه، وأخذ يطلق السباب والشتائم على المجرم وعادل الذي أخفى هذه المعلومة طوال هذه الفترة.

ولج نبيل إلى داخل البيت المؤلف من غرفة نوم والمنافع فقط، في غرفة النوم وجد على الأرض كتباً وثياباً وأوراقاً مبعثرة هنا وهناك، خزانة مفتوحة واضح من قطع الثياب الملقاة أن أياديَ كثيرة قبله قد عبثت بها، وسرير مزدوج لم يسلم أيضاً من

العبث،ولم يجد ما يستحق الذكر بعد أن بحث في كل زاوية من زوايا البيت، الكتب أغلبها روايات عاطفية، قصاصات من الجرائد المحلية وغير المحلية التي فيها إعلانات عن وظائف، وسند تمليك للمنزل باسم المجني عليه، كما لاحظ أن من بين الألبسة المبعثرة ثياب نوم نسائية شفافة. في المطبخ وجد حالة من الفوضى، الأدراج مفتوحة ومحتوياتها ملقاة على الأرض هنا وهناك، أصيب المحقق بعد انتهائه من البحث بخيبة أمل كبيرة، لعن حظه العاثر وهو يتناول كرسياً ويجلس عليه مفكراً بما آلت إليه الأحداث وما قاله الشهود، ليخلص إلى نتيجة بأن القاتل ذكي لم يترك وراءه أي دليل يمكن أن يقود إليه ويوقعه في يد العدالة، وعارف بأمور هذا البيت مما يدلّ على أنه كان عالماً بتحركات القتيل وما يفعله. وضع المحقق لنفسه احتمالين: الأول أن يكون القاتل على معرفة وثيقة جداً ويومية مع الضحية، وفي هذه الحالة، يمكن أن تكون العشيقة المجهولة لسبب ما، الغيرة مثلاً، أو الابتزاز قد دفعها للتخلص منه، أو أن المجرم قبل أن يرسل القتيل إلى العالم الآخر قد تحرّى عن كلٍّ تفاصيل تحركاته وعلاقاته قبل أن ينفذ جريمته، مما يدل على أن الجريمة لم تكن وليدة الصدفة، بل مخطط لها من قبل القاتل بدقة وعناية وبحنكة لا متناهية. وعلى غير حسبان مرّت بذهن المحقق إفادة أنيس، ليقطب ما بين حاجبيه ويتساءل يا ترى لم

كل هذا الكره الذي يكنه لسامي ، هل بسبب سوء سلوكيات هذا فقط؟ أم أن هناك أسباباً أخرى، فأليدا زوجة أنيس جميلة واحتمال أن تكون قد بنت علاقة مع القتيل علم بها زوجها ، وهذا وارد جداً ، وبالتالي كان الدافع للقتل موجوداً ، ثم إن أنيساً هو الوحيد من الشهود فتح بإفادته له الطريق لمعرفة خبايا وأسرار القتيل، يا ترى هل كان ذلك عن قصد ، وما غرضه من ذلك؟ لكن من ناحية أخرى لا يمكن لقاتل خطط لارتكاب جريمته بدهاء وحنكة أن يرتكب خطأً مميتاً بأن يظهر كرهه العميق لضحيته. هذان أمران لا يتطابقان، في النهاية قرر المحقق أن يقوم بدعوة أليدا واستجوابها ، ثم نهض عن كرسيه ليغادر عائداً إلى مكتبه، لكنه لم ينسَ قبل المغادرة أن يقوم بسؤال سكان البيوت المجاورة عن مدى معرفتهم بالقتيل وبزواره، وبالنتيجة كانت كل الإفادات متطابقة أكدوا فيها أنه على اعتبار أن بيت القتيل بعيد نسبياً عن البيوت الأخرى، وكان لا يختلط مع أحد من الجيران لذلك لم يهتم أحد منهم لأمره ،لا يعرفون متى كان يأتي أو يذهب من بيته أو إن كان هناك زوار يزورونه أم لا.

عندما قدمت أليدا إلى مكتب نبيل بعد دعوتها للحضور من قبله لإعطاء شهادتها بادرته بالقول بعد تبادل التحية: لماذا أنا هنا وبماذا يمكن أن أفيدك؟ ردّ عليها بعد أن طلب منها

الجلـوس: حسـناً يـا سـيدتي سـوف أكـون في غايـة الصـراحة بأسـئلتي لـذلك أرجـو أن تكـوني أنـت أيضـاً كـذلك بأجوبتـك لمصلحتك ومصلحة التحقيق، هـل كنـت تعلمـين بوجـود عشـيقة على علاقة حبّ قوية مع سامي؟

أليـدا: عشـيقة؟! لسـت أدري مـاذا تعـني بـذلك لأنـي أعتقـد أن علاقاته النسائية كثيرة.

نظر إليها بدهشة وتعجب: ماذا تعنين بذلك؟

أليدا: الذي قلته واضح، على سبيل المثال لا الحصر كـارمن أخت أنـيس كـانـت مغرمـة بـه لأنـي كـامرأة مـن السـهل علـيّ أن ألاحـظ وأفهـم معنـى النظـرات الـتي خصـته بهـا في أي مجلـس كـان.

كـاد نبيل أن يقفز عن كرسيه عنـد سماعـه ذلـك، ردّ عليهـا وهـو يلـوح بيديـه في عصـبية ظـاهرة ونظراتـه تـنم عـن الـذهول الشديد: هل أنت في كامل قواك العقلية، فهي عانس وهو شاب في مقتبـل العمـر بوسـعه أن يجـد أجمـل ومـن تحاكيـه سـناً. ابتسـمت أليـدا وهـي تجيـب بهـدوء: علـى مهلـك يـا سـيدي أنـت لا تعـرف سـامي، شـاب مسـتهتر يسـعى وراء المـال ولا يتـورع عـن أيـة علاقة من أجل ذلك.

المحقق: هل تعنين ابتزاز المال؟

أليدا: اسأل عن حياة البذخ والترف التي كان يعيشها، راتبه المتواضع لا يسمح له بمثل هذه الحياة، لباس غالي الثمن، أماكن اللهو المكلفة، إلى ما شابه ذلك، أخبرني ماذا تظن؟ من أين له كل هذا البذخ؟

المحقق: إذن ماذا عن أليسا؟

هزت أليدا رأسها بأسف قائلة: مسكينة هذه الفتاة، أوقعها في حبائله، أحبته بصدق، والحب أعمى يا سيدي صدقني، إنها لو رأته بأم عينيها مع امرأة أخرى لوجدت له مبرراً، وهو أراد الزواج بها لا لأنه يحبها بل طمعاً في ثروتها.

نظر المحقق إليها ملياً قبل أن يسألها: حسناً كل ما قلتِ لكن الآن قولي لي هل كنت تتمنين أن تكوني واحدة من عشيقاته، أم أنك ذلك فعلاً، وهل حاول ابتزازك؟ قال ذلك وهو مشدود النظر إليها ليرى ردّ فعلها.

اصفرّ وجهها في البداية ليحمرّ بعد ذلك من الغضب الشديد الذي أخذ يتملكها، وبدأ الشرر يتطاير من عينيها وهي تردّ عليه بنبرة عالية: لا أعتقد أنك أصبت الهدف يا حضرة المحقق. وإن كان ما سأقوله يرضيك، فاعلم أن سامي ليس من نوع الرجال الذي يستهويني، كما أني أكنّ قدراً كبيراً من الحبّ والاحترام لزوجي. هل هذا الجواب كافٍ؟

تمتم نبيل لنفسه إنها صادقة في ردّ فعلها ، ثم نظر إليها مهدّئاً إياها قائلاً: أرجو أن تعذريني على جلافتي إنه التحقيق وهذه طبيعة عملي ، كل ما أراه مفيداً لحل المعضلة أفعله، هل لديك أدنى فكرة عمن يمكن أن يكون القاتل؟ حسب رأيك طبعاً، وما مدى معرفتك كيف كانت العلاقة بين الأخوين سامي وعادل؟

أليدا : حسب رأيي أن القاتل من المؤكد إما أنه زوج غيور من أزواج اللواتي ارتمين في أحضانه أو عشيقة غيورة من عشيقاته، لا تنس إن الغيرة قاتلة أحياناً وخصوصاً عندما تحب المرأة فعندها تكون خطيرة جداً تجاه من يتلاعب بعواطفها ، أما علاقة الأخوين فمن الطبيعي أنها ليست على ما يرام، لسببين الأول هو التناقض الكامل في السلوك وطريقة الحياة، أما السبب الثاني والأهم فهو الحب العميق الذي يكنّه عادل لأليسا.

المحقق: أعادل مغرم بأليسا ، وهل يعلم والدها بذلك؟

أليدا : أيه طبعا يحبها ، إنه عاشق لها والجميع يعلم ذلك أما والدها فأعتقد ، ولست متأكدة، أنه لو كان عادل تقدم لخطبتها لما مانع في ذلك.

شكرها نبيل قبل أن تنصرف على تجاوبها وتعاونها معه في التحقيق. بعد انصرافها ضرب نبيل بكفّيه على الطاولة وهو

يقول يا إلهي القضية تتعقّد ودائرة المشبوهين تكثر، القتيل على ما يبدو كان زير نساء وبالتالي أعداؤه الذين أرادوا موته وعندهم الدافع لقتله ليسو أقلة. الآن أستطيع القول إني لن أكون مندهشاً إن سمعت المزيد عن علاقاته، أضف إلى ذلك أنه من البساطة بمكان أن تكون إحدى عشيقاته قد قتلته بدافع الغيرة أو على الأرجح الابتزاز. وبالتالي درءاً للفضيحة اضطرت إلى إسكاته للأبد.

❀ ✸ ❀

صراع الإخوة

أليسا فتاة شابة في مقتبل العمر في حوالي العشرين سنة، جميلة، معالم البراءة ظاهرة على محياها، تبناها حارث وعمرها أشهر من عائلة فقيرة، لم تشعر أبداً تجاه والديها أنها ليست ابنتهما، بل على العكس من ذلك تماماً، كما أنها تكنّ لهما حباً جمّاً، وكثيراً ما كانت تردد لنفسها أم أمام الناس: لو تطلب الأمر أن أفديهما بحياتي فلن أتوانى عن ذلك ولا لحظة، ولا يمكن أن أتصور أن أعيش بدونهما. والداها كانا يلبيان جميع طلباتها ورغباتها، إنها في النهاية ابنتهما الوحيدة، حبهما لها فاق التصور ولم لا، بالإضافة إلى براءتها فهي خلوقة ومطيعة وفي غاية التهذيب، سامي ابن قريب والدها قبل مقتله بفترة طويلة بدأ يرمي شباكه حولها آملاً بالزواج منها طمعاً في حصتها من الثروة التي ستؤول إليها من والدها الثري الكبير، . كاد أن يصل إلى هدفه لأنها وقعت في حبه، بل يمكن القول إنها أحبته بجنون، ولا عجب في ذلك فهو الخبير في عالم النساء والمتمرس في طريقة التودد إليهنّ، وهي الفتاة الخجولة البريئة العديمة الخبرة في هذا المجال، لكن

والـدها الخـبير بالنـاس، والحـريص علـى سـعادة ابنتـه الوحيـدة وقف حائلاً بين سامي وبين تحقيق هدفه، رفضه بشدة كزوج لابنتـه، بـل ذهـب إلى أبعـد مـن ذلـك فقـد هـددها إن لم تقطـع علاقتها بسامي أو إن فكرت بالزواج منه سرّاً فسوف يحرمها من الميراث ويطردها من البيت، والدها كان صارماً وحاسماً في موضوع الزواج هذا، ولم يقبل من أي كان البحث فيه.

عندما علمت أليسا بمصرع سامي كادت أن تصاب بانهيار عصبي كامل، وقد بذلت عائلتها بجميع أفرادها قصارى جهدهم لإنقاذها من حالتها النفسية هذه، وأحاطوها بالعناية والرعاية اللازمة لتخرج من أزمتها، كما أن عادلاً أيضاً لعب دوراً إيجابياً في الوقوف إلى جانبها في محنتها، وكيف لا وهو الذي أحبها بصمت حباً عميقاً لم يبح لها به أبداً لعلمه أنها تحب شخصاً آخر حتى ولو كان أخاه. وكان والدها يفضله لعلمه بأنّه رجل من الطراز الممتاز، ولم يكن يخفي إعجابه به بعصاميته وكفاحه في الحياة واستقامته، كما أنه كان واثقاً بأن عادلاً لن يدّخر جهداً في سبيل إسعاد ابنته في حال أصبح زوجها ولو على حساب سعادته.

قرع نبيل جرس منزل حارث، لتفتح له الخادمة الجميلة الباب والتي ما إن رأته حتى ابتسمت قائلة له: أي خدمة يا سيدي؟ أجابها نبيل: إني أبغي مقابلة أليسا، هل هي موجودة؟

ردّت عليه: حالياً لا يوجد أحد في البيت، أصحابه في نزهة منذ الصباح، وأعتقد أنهم في طريقهم للعودة، بإمكانك انتظارهم في الصالون إن كان الأمر ضرورياً. تردد قليلاً وكاد أن يقفل راجعاً لكنه غيّر رأيه بعد أن خطر له خاطر، لم لا يتحدث مع الخادمة، من الممكن أن تفيده ببعض المعلومات من يدري؟ لذلك ردّ عليها: لا بأس من أن أنتظرهم. ثم ولج إلى الداخل متابعاً الحديث: وإن لم يكن لديك مانع أحببت أن أطرح عليك بعض الأسئلة. سرت الخادمة لطلبه هذا قائلة: أنا بالخدمة، علم أن اسمها إلهام في حوالي الثلاثين من العمر، تعمل عند آل حارث منذ خمس سنوات بعد أن طلقها زوجها، وأن العائلة تعاملها كفرد من أفرادها وهي في غاية السعادة لوجودها بينهم، كما أنها ترافقهم سنوياً إلى البحر أو أي مكان آخر يذهبون إليه للاستجمام.

المحقق: ما رأيك بالمجني عليه سامي؟

إلهام، بعصبية: أوه لا أحبه.

المحقق: لماذا؟

إلهام: لأنه سبب الأذى لمخدومي حارث بسبب علاقته مع أليسا، كل من يسيء إلى مخدومي ويزعجه فإني أكرهه.

المحقق: هو كان يحضر إلى هنا أليس كذلك؟

إلهام: نعم لكنه ثقيل الظلّ.

المحقق: أنت امرأة جميلة وهو على ما سمعت كان زير نساء، ألم يتودد إليك؟

إلهام: وقد ظهرت الابتسامة على وجهها قائلة: شكراً لك على إطرائك جمالي، ما كان ليجرؤ على ذلك فكما ذكرت لك لم أكن أستسيغه وبخاصة بسبب تعكيره مزاج مخدومي.

المحقق: يخيل إليّ أنك تحبين حارثاً.

إلهام: عليّ الذهاب لإنهاء ترتيب البيت، بإمكانك الانتظار إن أردت ذلك، أما بخصوص سؤالك فاعلم أن حارثاً صاحب نعمتي إضافة إلى كونه كريماً ورجلاً من الطراز الرفيع وإنني مستعدة للتضحية بحياتي من أجله إن لزم الأمر، ثم غادرته مسرعة.

لحظات بعد ذلك انتبه نبيل على أصوات العائلة القادمة من النزهة، انبسطت أسارير حارث عندما رآه وبادره بالقول: ما هذه المفاجأة الحلوة أن أراك هنا. رد نبيل بعد تبادل التحية مع أفراد العائلة: شرف لي أن أزوركم، والحقيقة أني أرغب بتوجيه بعض الأسئلة للأليسا على انفراد بعد إذنكم. لك ما تريد على الرحب والسعة. قال له حارث، ثم تابع، واجبك يفرض عليك أن تستجوب أي واحد في سبيل جلاء الحقيقة أنا أفهم ذلك. بعد أن بقي نبيل لوحده مع أليسا توجه إليها بالقول نحن الآن لوحدنا، أرجو أن تكوني صريحة معي، لا داعي للخوف،

لابدً أنك تعلمين أكثر مما قلته لي في المرة السابقة، أخبريني بصراحة هل تعلمين أن عادلاً يحبك؟

أليسا: احمرّ وجهها وهي تجيب: لم يصارحني بحبه في يوم من الأيام، لكن أعتقد بل من الواضح أنه يحبني.

المحقق: هل المجني عليه كان يعلم بذلك؟

أليسا: نعم.

المحقق: ما رأيك بعادل؟

أليسا: إنه شاب رزين وهادئ، يمكن للفتاة أن تركن إليه، إنه بالتأكيد موضع ثقة.

المحقق: ماذا عن سامي؟

ردّت عليه أليسا وقد بدا الامتعاض عليها: لابدّ أنك تشير من طرف خفي إلى علاقات نسائية أشيعت عنه، إني لا أصدّق تلك الأكاذيب لأنه أحبني بإخلاص.

المحقق: هل تشعرين بالميل إلى عادل.

أليسا: شعوري نحوه كالأخت نحو أخيها.

المحقق: لابد أن أحدهما لم يستسغ الآخر بسببك أليس كذلك؟

بدا الارتباك واضحاً على أليسا، تراءى للمحقق أنها تريد إخباره بأمر ما ولكنها مترددة، لذلك استأنف الكلام دون أن ينتظر الرد، لا عليك أخبريني بما تعلمين، أعتقد أنك تخفين

معلومة ما، تأكدي أن الصراحة أفضل لك لراحة نفسك لا أكثر ولا أقل. ردت أليسا ببطء وهي مطرقة رأسها في الأرض: أتمنى أن أكون مخطئة فيما أظن، لأنه في أحد الأيام وأنا ذاهبة في زيارة لبيت سمير سمعت عند مروري بالقرب من نافذة غرفة سامي المطلة على الشارع مباشرة مشادة كلامية عنيفة بينه وبين أخيه، سمعت عادلاً يصرخ بوجه أخيه أنت لا تحبها دعها وشأنها، لن أدعك تخدع هذه الفتاة البريئة، وسأفعل المستحيل لإنقاذها من براثنك، أفهمت الآن ما أقوله لك؟ وسمعت رد سامي القاسي والساخر لعادل: أنت تحبها وغيور مني أليس كذلك؟ ها..ها.. إنها تحبني يا عزيزي وأنت تعرف ذلك، من الأفضل أن لا تتكلم معي بهذا الموضوع ثانية، والآن أغرب عن وجهي ليس لديّ وقت أضيعه معك. وأيضاً سمعت عادلاً يرد مزمجراً سوف أقتلك يوماً ما. إنك سافل. تلاه صوت باب يصفق.

المحقق: هيه.. أرأيت؟ لكن لماذا أخفيتِ عني ذلك، مادمت لا تحبين عادلاً..؟

أليسا: أتمنى أن أكون مخطئة في ظني، يا إلهي لا يمكن أن أتصور أنه بسببي أوديت بحياة سامي وبالتالي أكون أيضاً السبب في تدمير عادل. ثم أخفت وجهها بيديها من الألم والشعور بالذنب.

المحقق: أتعتقدين أنك تميلين إلى عادل وأنت تكابرين في الاعتراف بذلك، والدليل خوفك من أن يكون هو من قتل سامي؟ على كلٍّ، كل شيء وارد، من جهة أخلاق وصفات عادل لا تنطبق عليه صفات قاتل، ومن جهة أخرى يمكن أن يكون فعلها ليرسل أخاه سامي إلى العالم الآخر، لأن الحبّ يفعل الأعاجيب.

عندما غادر نبيل بيت حارث، استغرق في التفكير وهو في طريقه إلى منزله، ما أدلت به أليسا في غاية الخطورة، لم يرد إخافتها بقول ذلك، من يهدد بالقتل ويحبّ فتاة بهذا العنف قادر على تنفيذ تهديده، همس نبيل بصوت منخفض.



العانس

عندما صار نبيل أمام المنزل المتواضع بعض الشيء قرع جرسه، لتفتح الباب له كارمن أخت حارث غير الشقيقة، التي شُدهت عندما رأته، سائلة إياه بارتباك: ما الأمر الذي دفعك للقدوم إلى هنا؟ على ما أذكر لقد أعطيت إفادتي.

ردّ عليها نبيل بهدوء: علينا التحدث مرة أخرى من بعد إذنك، هل أستطيع الدخول؟

- بكلّ تأكيد يمكنك، تفضل. قالت له كارمن.

في الصالون عندما جلسا وقبل أن يبدأ استجوابه تفحّصها بإمعان، لقد وخط الشيب شعرها الأسود، وبرغم ذلك تبدو مثيرة بقوامها ونبرة صوتها الأنثوي بامتياز، شفاه مكتظة، ووجه جميل بدأت التجاعيد تدبّ فيه، تعجّب نبيل كيف أن مثل هذه المرأة التي جزم أنها في شبابها كانت من الجميلات ومثيرة، فكيف أضحت عانساً ولم تتزوج؟ لابدّ أن سامي كان خبيراً ممتازاً بالنساء ليدرك أنها شهوانية، لكنها لم تحظ بالرجل الذي يستطيع أن يكشف النار التي في داخلها إلى أن أتى هذا الدون جوان، ولابدّ أن الصدف وحدها جعلتها عانساً

لم تتزوج، ترى هل أقامت علاقة مع المجني عليه أم أن أليدا واهمة؟ لكن لا أشك إن كان سامي قد استطاع أن يقيم علاقة معها، فإنه قد حظي بامرأة رائعة يحسد عليها برغم كبر عمرها، أفاق من أفكاره على صوتها يقول له: أراك شارداً هل من خطب ما؟ ردّ عليها مبتسماً: لا تقلقي فقط شرود ذهني، الآن أخبريني دون مواربة وبالتفصيل عن علاقتك بسامي، كيف بدأت، أين وصلت وكيف انتهت؟

فوجئت كارمن بالسؤال، ترنحت قليلاً قبل أن تستعيد هدوءها، نظرت إليه باستغراب قائلة: حسناً لا أدري كيف علمت بذلك، فنظراً لعمري وصلة القرابة التي تربطني مع أبيه لم أكن أظن أنّ أحداً يمكن أن يشك بوجود علاقة بيننا، لابدّ أنه أخبر أحداً ما، ومن ثمّ علمتَ أنت بالأمر، حسناً سأروي لك كل شيء. سرحت قليلاً دون أن يبدو عليها أنها مرتاعة أو خائفة لكشف هذه العلاقة ثمّ بدأت تتكلم:

بدأ سامي يتردد عليّ كل يوم تقريباً، وبحكم قرابة والده لنا والعلاقة المتينة بين العائلتين، بدا لي الأمر طبيعياً، في البداية كانت تصرفاته وأحاديثه لا غبار عليها ومسلية إلى حد كبير، لا أخفي عليك أنه متحدث بارع يعرف كيف يجعلك تصغي إليه، لم يكن يخطر ببالي أبداً وأنا في هذا العمر أنه فكّر فيّ كأنثى يطارحها الغرام، لم أشك في نواياه أبداً،

لكن شيئاً فشيئاً ويوماً بعد يوم أخذ يتغزّل بي وبجمالي كأني شابة في العشرين من العمر حتى لا أصف لك نظراته الجريئة وغير البريئة بل أستطيع القول الشهوانية، ظننت في البداية أن كل ذلك مزحة أو ما شابه، ربما ليدخل البهجة إلى قلبي، لكن عندما كرر ذلك عدة مرات رأيت أن الوقت حان لردعه، وزجرته قائلة له أن يتعقل فأنا في عمر والدته أو أكبر، يبدو أنه غضب من ذلك فانقطع بعدها عن زيارتي لفترة لم تطل دامت أسبوعين على ما أذكر إلى أن أتى يوم سيبقى في ذاكرتي إلى أن أسلم الروح، أتاني في المساء في ذلك اليوم جلس قبالتي صامتاً ومحدقاً فيّ سألته ما به، فإذا به يبكي فجأة ويرتمي على أقدامي متضرعاً شاكياً حبه العنيف لي، نظرت إليه بذهول قائلة يا سامي أمرك عجيب، ألا ترى فارق السن بيننا؟ لكني بعد ذلك لم أتمّ كلامي لأنني فجأة شعرت بقشعريرة تمر في جسدي، لعله لاحظ ذلك فإذا به يقنص الفرصة وبسرعة يطوقني بذراعيه ليبدأ بتقبيلي بقوة وشهوانية لا توصف في شفتيّ، وعنقي وكل مكان مكشوف وصل إليه فمه، قاومته بكل قواي لكنه لم يستسلم، في لحظة طبع على شفتيّ قبلة ملتهبة طويلة ولدهشتي الشديدة بدأت غريزة الجنس والشهوة التي اعتقدت أنها ماتت في داخلي تجتاحني بقوة حتى أني لم أعرف نفسي ولم أحس إلاّ وأنا أطوقه بذراعي وأبادله القبلة

بشغف ورغبة جارفة في أن يذهب معي إلى أبعد من ذلك، صحوت على نفسي ممدة إلى جانبه وقد نال مني مبتغاه، قلت له وأنا مغمضة العينين: أليس من العجب أن أفقد عذريتي في هذا العمر، أجابني بكسل وهو يداعب شعر رأسي لقد كنت رائعة يا حبيبتي منذ فترة طويلة أحلم بك في أحضاني، أخذ بعد ذلك يتردد عليّ بين الحين والآخر، لا أكتم عليك أحببته بكل جوارحي، لقد أيقظ فيّ غريزة الأنثى التي كانت نائمة في أعماقي طوال هذه الأعوام، استمرت الحال فترة من الزمن خلتها هنيهة، ثم بالتدريج بدأ يغيب عني أياماً تاركاً إياي لهواجسي وعذابي، وأصبح يعرف أني أنتظر قدومه بلهفة، لكن بعد ما ملك كياني وسيطر عليّ كلياً بدأ يطلب مني المال متذرعاً بذرائع واهية، لم أكن أهتم لذلك، أعطيته ما يريد حتى لا أفقده، كنت أفعل كل ما يطلب حتى لا يهجرني، أما علاقاته النسائية الأخرى التي سمعت بها فلم تكن تهمني، كنت أعلم أنه ليس من حقي ذلك فإني شارفت على الخمسين وهو شاب في مقتبل العمر، أرجو أن تفهمني يا حضرة المحقق، كان المهم عندي فقط أن يبقى يذكرني بين الحين والآخر.

لما أتاني خبر مصرعه بكيت طويلاً، وأحسست أن جزءاً من كياني قد مات، بكيت شبابي الضائع، الندم على العمر الذي

ذهب هدراً بعد أن تذوقت حلاوة الحب، لكن ماذا ينفع الندم لاشيء سوى الحسرة والعذاب، لحظات الحب التي كان يمنحني إياها خطفها القدر مني بموته، تدري يا سيدي أني غير نادمة على هذه العلاقة وأقول لك بصراحة إن أجمل أيام حياتي تلك التي أمضيتها بين ذراعيه.

المحقق: أقدر صراحتك وبوسعي فهم شعورك لكن أخبريني هل كنت تقابلينه في بيته الخاص؟

نظرت إليه بتعجب قائلة: ماذا تقول، بيته الخاص لا.. لا أدري بذلك ولا يهمني الأمر، عش غرامنا كان هنا في بيتي، حضوره لعندي لم يكن ليثير الشكوك نظراً لعمري والعلاقة العائلية المتينة مع أهله.

المحقق: بالتأكيد كنت تسمعين بعلاقاته النسائية، هل تعلمين بأمر امرأة ما أحبها بقوة؟ ثم ألم تشعري بالغيرة لعلاقاته الأخرى؟

كارمن: غيرة؟ نعم شعرت بالغيرة والمرارة، صدقني إن أي أنثى تقول غير ذلك بالتأكيد هي كاذبة، أردته لي وحدي أردت المستحيل، لكنه لم يكن يأبه لشعوري على الإطلاق ولم أكن لأجرؤ على إثارة غضبه خوفاً من أن يهجرني، أما من هن الأخريات فلا أدري على الإطلاق ولم يهمني هذا الأمر لا من قريب ولا من بعيد، كل ما همني أن لا أفقده.

المحقق: متفحصاً إياها بدقة: ألم تنتبك الرغبة في قتله نتيجة الغيرة. أنت تعلمين أن الغيرة أحياناً قد تكون دافعاً للقتل.

ردت عليه كارمن بتعجب: أقتله أو أفكر في قتله، ماذا تقول؟! هل يمكن للمرء أن يقتل فؤاده، أقتل حياتي وسعادتي ألا تفهم أن موته كارثة لي يا سيدي؟!

نظر نبيل إليها بأسى قائلاً لها وهو يغادر منزلها: آمل أن لا يكون لك علاقة بمقتله، أنت امرأة جريئة وأفهمك تماماً.

في الطريق إلى منزله وهو يقود سيارته أخذ يفكر بأن من يتعمق كثيراً بخبايا النفس البشرية وما يمكن أن يكون فيها من خير أو شرّ سوف يصاب بالدهشة والذهول، وأن الغريزة الأساسية عند الإنسان لا تموت حتى ولو كبر في العمر، وعندما تجتاح الرغبة الجنسية الإنسان لن يستطيع كبتها إلاّ بعد أن يروي ظمأه، هذه حقيقة، حقيقة أزلية، وأن الجريمة التي حصلت بما توصل إليه من معلومات حتى هذه اللحظة توحي بأن الفاعل إما زوج غيور مخدوع، أو عشيقة مغرمة هجرها القتيل.

❀ ✸ ❀

ليلى

في أحد أسواق دمشق التجارية بينما نبيل يجول فيه إذ بصوت أنثوي يناديه، عندما نظر إلى مصدر الصوت رأى ليلى ابنة سمير، لوحت له بيدها وهي تتجه صوبه، حيّته باسمة قائلة: ما هذه المفاجأة الحلوة في هذه الأمسية الجميلة. ردّ عليها نبيل بلطف: يسعدني أن أراك لابدّ أنك تتسوقين، لا يخلو الأمر من ذلك. ردت عليه ضاحكة: لكن كنت أنوي الاتصال بك بشأن معلومة عن المرحوم أخي عسى أن تفيدك في كشف الفاعل. قولي، قولي لي بسرعة ما هي؟ كلّي آذان صاغية. نظرت إليه بعتب: ألا ترى معي أنه يلزم لذلك مكان هادئ لتبادل الحديث أليس كذلك يا عزيزي؟ أجابها نبيل: ليس من الأدب أن أدعوك إلى شقتي فستعتبرين ذلك وقاحة مني. ابتسمت له بلطف قائلة: لماذا؟ ما العيب في ذلك لن تلتهمني بالتأكيد. ما هي إلاّ دقائق حتى انطلق بسيارته باتجاه منزله وإلى جانبه ليلى، لم يتبادلا الحديث أثناء ذلك لكنهما تبادلا النظرات مع ابتسامات حلوة من الطرفين.

مـع رشـفات القهـوة في الصـالون بـدأت ليلـى تـتكلم: في منتصـف ليـل أحـد الأيـام قبـل مصـرعه بفـترة انتـابني الأرق ولم أستطع النوم، خرجت لأجلس في الصـالون عنـدما سمعت صـوت سامي يتكلّم بصوت مرتفع على الهاتف، قلت لنفسـي مـع مـن يتكلّم في مثل هذه الساعة المتـأخرة مـن الليـل، انتـابني الفضـول فمـا كـان مـني إلاّ أن وضـعت أذنـي علـى البـاب وأصـغيت، مـن خـلال مـا سمعتـه منـه كـان مـن الواضـح أن المكالمة مـع امـرأة، ومتزوجـة علـى الأغلـب لأنـه ألحّ عليهـا لمقابلتـه عنـدما تسـتطيع ذلـك، لكـن علـى مـا يبـدو لم يكـن بمقـدورها ذلـك أو أنهـا رفضت أن تقابله وقد نطق خلال المكالمة باسمها مرتين، عندها سـكتت ليلـى. شـجعها نبيـل عنـد ذلـك بـالقول: اسـتمرّي في الكلام يا ليلى لا تخافي، أفصحي لي عن اسمها نحـن لوحدنا، أجابته الضيفة بعد تردد: ناداها لوسـي، فوجئت بالاسـم لأن أول مـا خطـر ببـالي أن تكـون زوجـة دانـي، لكـني طـردت هـذه الفكـرة مـن رأسـي فهنـاك المئات مـن النسـاء بهذا الاسـم، ومـن المعقول أيضاً أن يكـون ظـني صـحيحاً لأن المنطق يفـرض ذلـك، لأن من تـراه في محيطـك يكـون هـو الهـدف الأسـهل وأنـت تعـرف أن هنـاك علاقـة عائليـة متينـة وزيـارات متبادلـة بـين العـائلتين وبالتالي فهو يراها متى أراد، لم أستبعد أنه بطريقة ما أغواهـا، النسـاء لغز من الصعب فهمه، هـذا مـا أردت إخبارك به.

أطرق نبيل برأسه مفكراً قبل أن يجيب: أعتقد أن ظنك في موضعه، عليّ مقابلة لوسي وأن أجد وسيلة أقدر بها على حملها للاعتراف بالعلاقة، نعم عليّ أن أرمي لها الطعم عساها أن تبتلعه. لكن أخبريني يا ليلى عن أختك أميرة يخيّل إليّ أنها تحب الوحدة والانعزال لماذا؟

ليلى: إنك على حق، هذا صحيح، أضف إلى ذلك أنها محافظة ومتدينة.

نبيل: كيف كانت علاقتها مع سامي؟

ليلى: لم تكن على ما يرام فهي لم تستسغ أبداً تصرفات سامي ومرات عديدة وصلت بينهما الأمور للشجار، أذكر أنها أكثر من مرة قالت للمرحوم إن عاقبتك وخيمة ومصيرك سيئ.

نبيل: ما مدى تأثرها بمصرعه؟

ليلى: تأثرت كثيراً لمصرعه وبدا الحزن العميق واضحاً عليها لكنها لم تبكه.

شكرها نبيل على صراحتها والمعلومات التي قدمتها له. ردت ليلى: أوه يا عزيزي لا داعي للشكر هذا واجبي. ثم أخذ بعد ذلك يتجاذب معها الحديث في موضوعات مختلفة،لكنه لاحظ أنها ترمقه بنظرات ذات معنى كأنها تنتظر منه أن يغازلها، أحسّ بالرغبة في أن يملكها تنتابه. في هذه اللحظة نهضت ليلى متجهة ناحية الهاتف ليسمعها بعد ثوان تقول: نعم يا

أمي أنا ليلى اتصلت بكم لإعلامكم بأني سأقضي ليلتي عند إحدى صديقاتي.

عندما أقفلت الهاتف، أحست بيد نبيل تطوق خصرها وبدون أن ينطق أحدهما بكلمة سارا باتجاه غرفة النوم. بعد منتصف الليل بقليل انحنت عليه وقبلته قبلة سريعة قائلة له أشعر بالنعاس يا حبيبي كن لطيفاً وأطفئ الأنوار؟

*

ابتزاز

لوسي المحامية التي قاربت الثلاثين من العمر، عادت بها الذاكرة إلى الماضي القريب وهي مسترخية إلى جانب زوجها داني في قيلولة الظهر، داني ولوسي ربطتهما علاقة متينة مع عائلة سمير، وعلى مرور الوقت ازدادت متانة، وأصبحت الزيارات والسهرات المشتركة بينهما تقريباً شبه يومية، ولم يكن ليخطر ببال داني أن كثرة زيارات سامي لهما لم تكن بريئة، ثرثرته ونكاته التي بعثت الرضا والسرور عند زوجها كانت ستاراً لنواياه الحقيقية ألا وهي اصطيادها، بدأ يلقي شباكه حولها تدريجياً من كلمات إعجاب في البداية إلى تغزل بجمالها كلما سنحت له الفرصة بذلك، كما لاحظ أنها لم تردعه عن ذلك، وعندما رأى أن السرور ينتابها حين يمتدح جمالها أيقن أن الهدف بات على مرمى اليد وأن الطريدة أصبحت على قاب قوسين أو أدنى من الصياد، في يوم سفر لزوجها خارج المدينة قدم إليها طالباً منها السماح له بدخول البيت لأنه يبغي النصح منها في قضية تهمة باعتبار أنها محامية قديرة، لكن ما حدث عكس ذلك تماماً، عندما انفرد بها بدأ

يتودد إليها بدون مقدمات شاكياً حبه ووجده العنيف لها وأنه لم يعد قادراً على إخفاء هيامه بها ، أصابتها الدهشة لجرأته وأجابته وهي تبلع ريقها بصعوبة وارتباك ملحوظ وقد بدت الرغبة في مضاجعته تنتابها : لا تنسَ يا سامي أنني متزوجة وعلاقتنا العائلية متينة وأن ذلك خطأ ولا يصحّ، وعليك أن تكفّ عن هذه الحماقة. سامي رأى فيه رداً واهناً لا بل يمكن القول مشجعاً لأن يذهب أبعد من ذلك. لم يُضعْ الفرصة التي أتيحت له ، أخذها بين ذراعيه وبدأ يقبلها بحرارة وانفعال، مقاومتها كانت ضعيفة وخجولة ، طوّق خصرها بيده وسار بها إلى غرفة النوم / مسلوبة الإرادة كالخروف المقاد إلى المسلخ. سارت معه دون أن تنبس شفتاها بكلمة ، وبعد أن أمضى معها ساعات عدّة من المتعة غادرها دون أن يلقي عليها نظرة واحدة، تاركاً إياها في ضياع، بعد ذلك اليوم المشؤوم بالنسبة لها أعطاها عنوان عش غرامه لتوافيه متى أرادت ذلك. أرادت وضع حدّ لذلك، لكنه هددها بإعلام زوجها بالأمر ولم تكن لتشك بأنه سيفعل ما يقوله وينفذ تهديده، خضعت له وبدأت تدفع ثمن تهورها ولحظة ضعف أسلمته فيها نفسها ، لم يكتفِ بذلك بل أخذ يبتز منها المال، وهي كمحامية كانت تعرف أنها قادرة على الزج به في السجن بتهمة الابتزاز التي يحاكم عليها القانون. لكن الثمن سيكون غالياً لأن زوجها سيطلقها

بالتأكيد بعد أن يفتضح أمر هذه العلاقة، هذا من جهة ومن جهة ثانية سيكون لذلك تأثير سلبي على مهنتها كمحامية بالتأكيد. لذلك ارتأت أن تنتظر وتأمل أن تحدث معجزة ما تنقذها من براثن هذا المحتال، ولم يدر بخلدها أن زوجها داني الذي قطع علاقته نهائياً مع سامي فجأة قد علم بعلاقتها هذه، إلاّ في يوم قدمت فيه من عملها باكراً على غير المعتاد، عندما ولجت إلى داخل منزلها تناهى إليها صوت زوجها المرتفع والغاضب، توجست شراً اقتربت ببطء وبحذر من مصدر الصوت لترى ما الأمر، صعقت لما سمعته من زوجها الذي كان يتكلم على الهاتف مهدداً سامي بالويل والثبور، سمعته يقول: إن لم تدعها في سلام لن ترى النور في القريب العاجل، سيكون الموت مصيرك، وهذا يسير جداً، إني أحذرك يا صاح وأنا لا أعرف المزاح. لم يعد يهمها أن تسمع أكثر مما سمعت. عادت بسرعة إلى الباب الخارجي ففتحته ثم أغلقته بقوة عن قصد منادية زوجها بصوت مرتفع هل أنت في المنزل يا حبيبي، لحظات مرت قبل أن تسمع صوت زوجها وهي متجهة إليه يرد عليها: أوه هذه أنت يا عزيزتي، لكن الوقت مبكر لقدومك من العمل. أحاطته بذراعيها لتقول له بعد أن طبعت قبلة سريعة على شفتيه: شعرت ببعض التوعك ورأيت أنه من الأفضل أن أرتاح في المنزل. لم تعلم أبداً كيف علم داني بالأمر ولم يكن ذلك

عندها مهماً فالمهم في الموضوع أن زوجها عاملها كأن شيئاً لم يحدث، قدّرت فيه هذه المروءة، شعرت بفداحة ما فعلت لكن ما فائدة الندم؟ حدث ما حدث، لتختم تفكيرها بأن حمدت الله على مصرع هذا الشقي اللعين سامي فقد مات ومات معه السرّ الذي طالما هددها به، ثم تمتمت بصوت يشبه الهمس سوف أعوضك بحبي وحناني لما سببته لك من ألم وأذى يا زوجي الحبيب، ثم التصقت به لتحتضنه بذراعيها البضتين شاكرة في سرها موقفه النبيل هذا منها.

ساءل نبيل نفسه وهو منطلق بسيارته إلى منزل داني عن ماهية سامي ومعدنه، طريقة تفكيره في الحياة، لقد كان شاباً ماجناً بلا شك، لم يتورع عن ابتزاز كلّ من طالته يده ليتيح لنفسه بوهيمية مرفهة، حياة بذخ وترف لم يكن راتبه ليمكنه من ذلك النمط من العيش، في البداية بحث عن دافع الجريمة، فكّر نبيل لكن الآن بات من يملك هذا الدافع كثيرون، ومن الصعب حصر الشبهة في اتجاه معين، وبدون وجود أدلة دامغة لا يمكن توجيه اتهام لأحد، إن لم يرتكب القاتل خطيئة ما لن أتوصل على المدى المنظور إلى معرفته.

عندما فتحت لوسي له الباب رفعت حاجبيها من الدهشة لرؤيته، وتوجست شراً لكنها مع ذلك استطاعت أن تضغط على نفسها لتبتسم ابتسامة مصطنعة واضحة قائلة بعد تبادل

التحية معه: أية ريح طيبة دفعتك للقدوم يا حضـرة المحقـق، لـيرد عليها المحقق بالقول: عفواً يـا سـيدتي علـى قـدومي هـذا المفـاجئ بـدون إعلامكـم لكـن هنـاك بعـض الأسـئلة سـأطرحها عليـك وعلى انفراد وآمل أن لا يزعجك ذلك. بعد أن قادتـه إلى الصـالون وجلست قبالته، توجهت إليه بالقول: هات ما عندك.

المحقـق: كـان المجـني عليـه علـى علاقـة وثيقـة معكـم ألـيس كذلك؟

لوسي: نعم هذا صحيح.

المحقق: وهل هو صديق لك أيضاً؟

صعقها السؤال، احمـرّ وجهها وهـي تتململ علـى كرسـيها، ردت عليه بصعوبة: ماذا تعني؟

المحقق: أعتقد أنني كنت واضـحاً، وأعتقـد أنـك ذكيـة بمـا فيـه الكفايـة لتعلمـي مـا قصـدت بـذلك، أخـبريني عـن علاقتـك بالمجني عليه سامي.

كـادت أن تقـع مـن هـول المفاجـأة، لحظـات مـرت قبـل أن تتمالك نفسها بصعوبة وترد عليـه: أنـا محامية وأعـرف حقـوقي، هل لديك دليل على هذا الاتهام؟

أستطيع رفـع دعـوى عليـك بتهمـة التجـريح، وتقـديم شـكوى لرؤسائك، هل كنت واضحة؟

المحقق: الأفضل أن تتعاوني مع التحقيق، هناك شاهد على هذا الاتهام، ألا تدركين ذلك، ألم تسألي نفسك كيف علمت بأمر هذه العلاقة؟

لوسي: حسناً، لا أبغي الفضيحة، يا إلهي، أرجوك أن لا تثير هذا الموضوع أمام أحد، صدقني إنها كانت علاقة عابرة وانتهت.

المحقق: لقد ابتزك مالياً أليس كذلك؟

أطرقت لوسي رأسها بالأرض وهي تجيب: نعم ابتزني هذا النذل، لم أكن أتصوره بهذه الوضاعة.

المحقق: إذن لديك الدافع للقتل، أنت محامية مشهورة وزوجك من الأثرياء، الفضيحة ستدمر مستقبلك المهني والزوجي. ما رأيك بذلك؟

لوسي: صدقني فكرت بقتله لا أنكر ذلك، لكني لم أجرؤ على تنفيذ ذلك ولما كنت سأندم لو فعلتها. زوجي علم بالأمر قبل الجريمة وبالتالي الدافع للقتل لم يعد موجوداً. نظر إليها المحقق بدهشة، أتقولين إن زوجك علم بالأمر؟ أرجو أن تقومي باستدعائه إن كان موجوداً. أصاب لوسي الاضطراب بعد أن فهمت ما يرمي إليه المحقق ، ردت عليه بنبرة غاضبة: إن ذهب بك الظن أيضاً إلى أن زوجي هو الفاعل فأنت مخطئ، زوجي لا يستطيع إيذاء ذبابة.

المحقق: يجب أن أراه من فضلك.

نهضت لوسي بصعوبة والدنيا قد ضاقت في عينيها وبالكاد جرّت نفسها من الصالون.

ما هي إلاّ لحظات حتى بان داني وإلى جانبه زوجته، لاحظ المحقق وجهه المتجهم وبعد التحية بادره الزوج بالقول: إن زوجتي في حال من الهلع والخوف وشاحبة اللون على غير عادتها، لا أدري ماذا قلت لها، لكن آمل أن لا تضايقها بعد الآن.

المحقق: متجاهلاً النبرة الحادة التي خاطبه بها داني، ردَّ عليه: تمالك أعصابك يا داني وأخبرني الآن كيف علمت بالعلاقة بين زوجتك وسامي. وعلى غير ما توقع المحقق، فقد أجابه الزوج بهدوء: هذا شأن لا دخل لك به، بطريقتي الخاصة علمت وهذا يكفي على ما أعتقد.

المحقق: حسناً تقول، لك ما تريد، لكن الدافع للقتل أصبح قوياً لديك ولدى زوجتك، أرجو أن يكون ذلك واضحاً لكما.

داني: إذا كان لديك الدليل على ذلك وإن كنت تنوي اتهامي أو اتهام زوجتي بالقتل فسأكون مضطراً لطلب محاميّ الخاص ولن أتفوه بكلمة واحدة إلاّ بحضوره.

رد المحقق وهو يتنهد: إلى الآن لا أملك الدليل، لن أوجه التهمة إلى أحد إلاّ بعد اكتمال التحقيق وجمع الأدلة وسنرى.

✱

الطلق الناري

أخذ حارث وهو جالس في مكتبه يعود بذكرياته إلى الوراء، تزوج رنا وهي في العشرين من العمر بعد حب عنيف بينهما، خلال هذه السنوات الطوال بينهما ازداد حبهما ولم يؤت وسيلة لإسعادها إلاّ فعلها، لم يرزق منها بأولاد، عالجها عند أشهر الأطباء في داخل البلاد وخارجها دون جدوى، لاحظ افتقادها لطفل، لأن تكون أمّاً فارتأى أن يتبنى طفلاً يمكن أن يدخل السعادة على رنا وعليه أيضاً ووافقت زوجته على ذلك بسرور طاغ، فكان أن تبنى داني من أسرة فقيرة وعمره بالأشهر وذلك بعد سنتين من الزواج، وبعد ست سنوات من تبني داني تبنى أليسا بعد ولادتها بأشهر أيضاً من أسرة فقيرة، هذان الطفلان أدخلا البهجة إلى قلبيهما، وكيف وقد أصبحا بمثابة أولادهما وكأنهما من صلبهما، لم يشعرا أبداً بغير ذلك، حبهما ورعايتهما للطفلين فاقت التصور، خصوصاً رنا حيث أيقظا فيها عاطفة الأمومة، أما داني وأليسا فقد شبّا على حنان وحب الوالدين ليصبحا مثالاً للآخرين بأخلاقهما، داني عصامي دمث الأخلاق استطاع بمجهوده أن يكوّن ثروة كبيرة، أليسا شابة جميلة معالم البراءة والطيبة واضحة على محياها الجميل، لكنها وقعت في حبّ شاب لم يرق له، هو

والدها الذي بذل الكثير لإسعادها ، لذلك وقف حجرة عثرة ﻓﻲ طريق هذا الحب واستطاع ﻓﻲ النهاية أن ينقذ ابنته من زواج لو أنه تم بالتأكيد كان سيأتي بالويلات عليها ويحيل حياتها إلى جحيم، لكن ما يشغل باله الآن هو زوجته رنا ، لقد تغيرت ﻓﻲ الفترة الأخيرة كلياً ، لم تعد رنا التي عرفها وأحبها ، أصبحت واجمة ﻓﻲ معظم الأحيان، عصبية على غير عادتها تتظاهر بأنها سعيدة وهي بتصرفاتها عكس ذلك تماماً ، إنها ليست رنا التي تزوجها ، لقد عرف ﻓﻲ حياته قبل زواجه الكثير من النساء والفتيات، اكتسب خلالها خبرة واسعة بمزاج الجنس اللطيف، عين الخبير لا تخطئ، هناك شيء ما عكّر حياة زوجته، عندما صارحها مرة بهواجسه ابتسمت له بهدوء قائلة إنها مشاغل الحياة وأن لا يشغل باله بتلك التوافه. بعد تفكير عميق وطويل أراد تغيير وصيته، قرّر أن يبقي لها مبلغاً من المال يكفيها الحاجة للآخرين، عندما انتهى به التفكير عند هذا الحد ، تناول سماعة الهاتف ليتصل بمحاميه طالباً منه القدوم إلى مكتبه لأنه يرغب ﻓﻲ تغيير وصيته، ثم بسرعة غيّر رأيه بشأن قدوم محاميه، فطلب منه أن يبقى ﻓﻲ المكتب لأنه قادم إليه فوراً.

عندما وصل حارث إلى مكتب محاميه، أوقف سيارته ﻓﻲ مكان قريب ترجّل منها متوجهاً للمكتب، فجأة إذ بسيارة

مسرعة تنطلق بالقرب منه ليسمع دويّ طلق ناري، سقط على أثره أرضاً وهو مضرج بالدماء، ما هي إلا ثوان قليلة حتى أحاط به نفر من الناس تجمعوا حوله وفي طليعتهم محاميه الذي خرج من مكتبه عند سماع الطلق ليستطلع الأمر، عندما رأى المحامي أن المصاب هو حارث أصابه الذهول، لم يتأخر ثانية واحدة بطلب الإسعاف ونقل المصاب إلى أشهر مشفى خاص بالمدينة. عندما أعلم المحامي رنا وأولاد حارث بما حدث، صعقوا بالنبأ، زوجته كادت أن تنهار من هول المفاجأة، داني وأليسا بالكاد استوعبا ما جرى، ثوان مرت قبل أن تسمع البكاء والنحيب من كل جانب، داني بصعوبة بالغة توجه إلى المشفى ومعه أفراد العائلة.

خضع حارث فوراً لعملية جراحية تم فيها إخراج الرصاصة التي اخترقت لحسن الحظ كتفه الأيمن، ليوضع بعدها في العناية المشددة تحت رقابة طبية شديدة لكون حالته حرجة لفقدانه نتيجة النزف كمية كبيرة من الدم.

عندما تم إعلام الأمن الجنائي ومن ثم المحقق نبيل الذي ما إن سمع الخبر حتى بدأ يطلق الشتائم والسباب متوعداً المجرم بالعقاب القريب، وقد كاد من الذهول والغضب أن يفقد السيطرة على نفسه.

عندما انطلق بسيارته باتجاه المشفى، كان قد عاد إليه الهدوء بعض الشيء وبدأ يفكر بروية، من له مصلحة بموت حارث، الورثة على حسب علمه زوجته رنا وأولاده داني وأليسا لا يمكن أن يكون أحداً منهم، لكن المال يسيل له اللعاب، المال يعمي الأبصار ويسقط الضحايا، يا إلهي هل يمكن أن يكون أحد الورثة وراء ذلك، ثم كيف له أن يربط هذه الجريمة مع جريمة قتل سامي، إذا كان المجرم واحداً في الحالتين، إذن يوجد دوافع غير المال لكن ما هي؟ أين يمكن أن أجد الحلقة المفقودة في هذه القضية؟ ثم انتقل به التفكير إلى القاتل الذي هو بالتأكيد داهية بدليل أنه إلى الآن استطاع الإفلات من يد العدالة، إضافة إلى براعته في اختيار الوقت والمكان المناسب لتنفيذ جرائمه، إن نجا حارث من الموت هذه المرة، فالقاتل لن يدعه يحظى بذلك بالتأكيد في المرة القادمة، سنرى ما يمكن عمله بعد رؤية حارث، إن كتبت له النجاة. انتهى به التفكير عند هذا الحد.

في المشفى وجد نبيل عائلة حارث بأكملها هناك مع عائلة سمير، بعد أن ألقى التحية عليهم، تمعّن في وجوههم بدقة ليرى معالم الذهول إضافة إلى الحزن واضحة على الجميع، انتبه أثناء تمعنه بوجوه أفراد العائلتين إلى أن بينهم شخصاً قصير القامة مكتنز الصحة لا يعرفه ولم يره من قبل وقد بدا

متماسكاً أكثر من الجميع، تقدم صوبه وبعد أن أراه شارته وعمله أجاب الرجل بأنه كميل المحامي الخاص لحارث وعائلته، فغر المحقق فاه من الدهشة قبل أن يتوجه إليه بالسؤال لكن علمت بالحادث وهل وجودك هنا صدفة؟ عندها أخبره المحامي بالمكالمة الهاتفية مع حارث ورغبة هذا الأخير بتغيير الوصية. فوجئ المحقق بذلك قائلاً لكميل: ألم يقل لك السبب وما هو التغيير الذي نواه؟ لا لم يقل لأن القدر سبقه. حسناً قال نبيل، سؤال أخير لو سمحت: هل لاحظت السيارة نوعها، لونها؟ رد عليه كميل: عندما خرجت بعد سماعي الطلق الناري كانت السيارة قد غابت عن الأبصار. شكره نبيل على المعلومات التي قدمها ثم تركه لينطلق فوراً وبسرعة إلى الطبيب المشرف على علاج حارث، عندما وجده بادره بالسؤال عن صحة حارث ومدى خطورة حالته، أجابه الطبيب إن حالته مستقرة وإن الخطر على حياته قد زال، لكنه خائر القوى بسبب النزف الذي أصابه وحالياً هو في العناية المشددة، ولا يمكن السماح لأي كان بمقابلته قبل يومين أو ثلاثة أيام.

لم ير المحقق بعدها من سبب لبقائه، غادر المشفى وذهنه منصب بالتفكير في الوصية، من المعني بالتغيير ولماذا؟ إن إقدام حارث على تلك الخطوة تدل على عدم رضاه عن أحد ما من عائلته، إن هذا الأمر على جانب من الأهمية، هل علم أمراً له

علاقة بمصرع سامي، وأن أحداً ما من أفراد عائلته له صلة بذلك فقرر حرمانه من الميراث، لكن فجأة أصابته الحيرة والدهشة الممزوجة بالخوف عندما انتهى به التفكير إلى كيف علم القاتل بما نواه حارث، يا إلهي تمتم لنفسه، احتمال أن يعود المجرم لإكمال مهمته في حال معرفته بأن حارثاً نجا من الموت وأنه طريح الفراش في المشفى ليس وارداً فقط بل شبه مؤكد، وبسرعة تناول هاتفه المحمول واتصل بمساعده رامز طالباً منه إرسال حماية سريّة لحراسة الجريح ليلاً نهاراً بلا انقطاع إلى حين مغادرته المشفى، كما أوعز إليه سؤال الشهود في المنطقة التي تمَّ فيها إطلاق النار على حارث، عن نوع ولون السيارة. في اليوم التالي أخبره مساعده عن المعلومات التي توصل إليها من الناس الذين شهدوا الحادث، قائلاً له بالنسبة لرقم السيارة لم يره أحد أولاً للسرعة الزائدة التي سارت بها، وثانياً لكون الشهود قد صبوا اهتمامهم على الضحية، أما لونها فهو أزرق فاتح نوع غولف. لم يّدهش نبيل لذلك فقد توقّع أن تكون نفس السيارة التي حاولت دهس رنا، هذا لن يفيد التحقيق بشيء، همس نبيل بصوت منخفض وتابع: لكني متأكد بأن القاتل سيعيد الكرّة وهذا يدعوني إلى التفاؤل بأني سأمسك به أخيراً.

بعد ثلاثة أيام من وقوع الحادث سمح الطبيب المشرف على علاج حارث للمحقق بمقابلة الجريح طالباً منه أن لا يرهقه

بالأسئلة وما يتلوها من تفسيرات وإيضاحات لأنه لا يزال في حالة وهن وضعف. عندما دخل المحقق غرفة حارث وجده مستلقياً على الفراش والإعياء والشحوب واضحان على وجهه، بعد التحية هنأه بالسلامة ثم اعتذر منه عن وجوب التحقيق معه وهو في هذه الحالة الصعبة، ابتسم الجريح ابتسامة باهتة قائلاً بصوت خافت ضعيف ومنهك: لا عليك يا عزيزي أنت تقوم بواجبك.

المحقق: حسناً، قل لي أولاً هل رأيت السيارة، رقمها، لونها.. إلخ..

حارث: لقد حدث ذلك بسرعة فائقة حتى أنني لم أحس عندما سقطت أرضاً، لكن قبل ذلك بثوان تراءت لي سيارة مسرعة لونها أزرق هذا كل ما أذكره.

المحقق: بلا مواربة يا صاحبي أخبرني بصراحة عن الوصية والتغيير الذي كنت تنويه فيها ولماذا؟

نظر إليه حارث بدهشة ممزوجة بالغضب: هذا المحامي أحمق، هذا الأمر لا يخصّ أحداً، ما كان عليه أن يفعل ذلك لأنه شأن عائلي، إنه أمر لا يعني أحداً، ولا أدري لماذا ذكره لك.

المحقق: إني أرى عكس ذلك تماماً فهو في غاية الأهمية، ألا تدرك مدى الخطر المحدق بك، إني أحاول مساعدتك لأن من

حاول قتلك وفشل بالتأكيد سوف يعيد الكرّة، في المرة القادمة القاتل لن يكرر خطأه، ألا تعي ذلك؟

حارث: إيه ماذا تقول؟ ما علاقة محاولة قتلي بالوصية؟

المحقق: لآن المحاولة أتت في نفس الوقت الذي كنت تنوي فيه تغيير الوصية أليس هذا صحيحاً؟ أجاب حارث ضاحكاً: بربك يا سيدي، لا أعتقد أنك تريد أن تقول إن أحد أفراد عائلتي يبغي قتلي بسبب المال.

المحقق: كل شيء وارد ولم لا، أنت فاحش الثراء والمال يضمن العيش الرغد وما إلى ذلك فهو يعمي الأبصار، أليس هذا ما تظنه أنت ولكنك تكابر؟

هزّ حارث رأسه قائلاً: إن ظنك ليس في محله، أنت على الطريق الخطأ، أقول لك ذلك وأنا واثق من كل كلمة نطقتها، عائلتي بجميع أفرادها خارج نطاق الشبهة، أنا أعلم منك بسلوكياتهم صدقني في ما أقول لك، لكن مادمت مصراً على معرفة ما كنت أنويه بشأن تغيير الوصية سأخبرك، لقد أردت أن أبقي مبلغاً من المال يكفي زوجتي لكي تعيش به بأمان واطمئنان طيلة حياتها، بدل أن ترث قسماً من ثروتي، هذا كل ما في الأمر وهو التغيير الوحيد الذي أردته، أترى معي أن الأمر عادي.

زوجتك؟ ردد المحقق باستغراب. لكن لماذا؟

حـارث: عليـك أن تفهـم يـا سـيدي أن ذلـك أمـر شخصـي لا علاقة له بالأحداث كما تتوهم إنني على قدر كاف من الخبرة والمعرفـة لأقـرر مـا هـو لصـالح العائلـة بكاملها، الأمـور العائليـة تبقـى ضـمن إطـار العائلـة عليك أن تفهـم وتعلـم أيضـاً أنـني أحـب زوجتي ولا أظن أنهـا سـتكون غاضبة لـذلك الأمـر إطلاقـاً، لأن أولادنا أولاً وأخيراً هم الورثة وأنـت لا يمكنـك أن تتصـور حبهمـا لوالدتهما، لا يوجد مبرر لأن أخـاف علـى مسـتقبل وحيـاة زوجـتي في حـال وفـاتي فهـي في أيـاد أمينـة، أضـف إلى ذلـك أنـي كنـت سـأترك لها بعد التغيير ما يكفـي لأن تعيش برفـاه دون الاعتمـاد على أحد، هذا كل ما لديّ أرجو أن يكون ذلك واضحاً لك.

المحقق: أعتقد أنـك علـى قـدر كـاف مـن الـذكاء لتـدرك أن محاولـة قتلـك ليسـت مزحـة ثقيلـة ألا تعـي أن حياتـك في خطـر داهم؟

حارث: لا تقلق عليّ، إني أعرف كيف أحمي نفسي.

نظر نبيل إليه بأسى هازّاً رأسه وقـائلاً: لقد حـذّرتك، كنـت أظن أن حياتك غالية عليـك أكثـر، مادمـت مصـراً علـى أقوالـك حسناً سنرى ما تخبئه الأيام لنا مـن أحـداث ومفاجـآت. ثـم نهـض مودّعاً.

✱

الصورة

أخذ عادل يذرع أرض الغرفة مشياً ذهاباً وإياباً، غارقاً في التفكير، ما حدث لحارث جرحه في الصميم، فهو يحبه ويحترمه، إنه رجل شهم عصامي ذو معدن طيب، وكان يشعر في قرارة نفسه أنهما متقاربان جداً بالأفكار والتصرفات، ويمكنه القول تقريباً بنفس التطلعات برغم فارق السن الكبير بينهما، وزاد من إعجابه به عندما وقف حارث عائقاً أمام زواج أخيه من أليسا التي أحبها حباً جارفاً ملك عليه كيانه، ولو كان يعرف أن أخاه عكس ما هو عليه من سلوكيات ويمكن أن يوفر السعادة لأليسا لتقبل الأمر بكلّ رحابة صدر لأن سعادته من سعادتها حتى ولو أن الأقدار جعلتها من نصيب غيره، لكن الآن بعد مصرع أخيه ومحاولة قتل حارث الذي يحبه ويحترمه إضافة إلى كونه والد محبوبته أصبح يشعر أن القاتل خطير جداً، ونظراً لكونه ذا أنف بوليسية تستهويه قضايا وجرائم القتل المعقدة برغم أنه يدرس الصيدلة فقد أثار انتباهه تغيّر مفاجئ بتصرفات والدته لم يفته هذا الشيء، وأصبحت لا تتكلم مع والده إلا عند الضرورة، ولاحظ كيف أنها أحياناً ترمق زوجها بشزر بالإضافة إلى أنها باتت تفضل في أكثر الأوقات الاختلاء بنفسها على غير عادتها، لابدّ أن هناك

طارئاً ما طرأ لا يعرف ما ينغّص عليها حياتها وهذا الأمر حدث بعد مصرع شقيقه، ما الذي حدث؟ ما هو الأمر الذي علمته والدته ولم يستطع هو أن يعرفه، أخذ يسائل نفسه يا ترى ما هو ولم تخفيه ولا تبوح به؟ شحذ ذهنه، عاد بذاكرته إلى الوراء، تذكّر أن التغيير في سلوك والدته حدث بعد الجريمة بيومين أو ثلاثة، قطب حاجبيه للحظة يا إلهي كان عليّ أن أدرك ذلك لابدّ أنها عثرت على شيء ما في أشياء القتيل أثار حفيظتها، أي عاقل يمكن أن يعي ذلك، فكّر هنيهة قبل أن يهمس يجب أن أعرف ماذا وجدت أمي، إن صارحتها بالأمر وطلبت منها أن تخبرني فهي لن تفعل بالتأكيد أنا أعرفها، يجب أن أجد وسيلة أخرى، وفجأة وهو في غمرة التفكير هتف لقد وجدتها، كيف غاب عن بالي البحث في غرفة والدتي بدقة سأجد ضالتي هناك.

لم يطل انتظار عادل لتحقيق ما نوى عليه ففي عطلة نهاية الأسبوع توجهت العائلة بأكملها لقضاء يومها في أحد مسابح دمشق المنتشرة هنا وهناك، ولم يكن عليه صعباً أن يجد مبرراً لعدم الذهاب، انتظر بضع دقائق بعد مغادرة العائلة قبل أن يدخل إلى غرفة والدته، بدأ يبحث عن شيء لا يدري ماهيته، لم يترك زاوية من زواياها إلاّ وطالته يده لم يجد مراده، شعر بالمرارة وخيبة الأمل، وبدأ اليأس يتسرّب إليه، جلس على

الفـراش وهـو سـاخط علـى نفسـه وأخـذ يصـيح بصـوت مرتفـع: أرأيت ليست هذه رواية بوليسية تقرأها يا عزيـزي، لكنـه كـان يتمتع بصفة العند، لم يستسلم لليـأس، نهض عـن الفـراش وبـدأ يتجـول في الغرفـة مـرة أخـرى دون هـدف محـدد، للحظـة أثـارت انتباهه علبة الزينة.

تناولها ببطء وفتحها، لاحـظ أنهـا مؤلفـة مـن طبقـتين توزعـت فيهما أنواع وألوان الـزينة، في الطبقـة السـفلى وجـد ورقـة صـغيرة الحجم ملفوفة، بيد مرتجفـة تنـاول الورقـة وفتحهـا لتسـقط منهـا صـورة وقصاصـة ورق صـغيرة جـداً، تنـاول الصـورة ونظـر إليهـا، شهق من المفاجأة مما رأى، لم يصدق عينيه، أهـذا معقـول؟ ردد لنفسـه، والـدي في حديقـة مـع أليـدا في وضـع حميمـي، مـثير للريبة، يا إلهي، الآن أدرك سبب التحول المفاجئ الذي طرأ علـى والدتي يا لها مـن مسـكينة، لابدّ أنهـا أصيبت بالصدمة وخيبـة الأمـل بزوجهـا وهـي الـتي اعتقدتـه فـوق الشـبهات، ثـم تنـاول قصاصة الورق ليرى أنـه مـدون فيهـا اسـم أليـدا مـع رقـم هـاتفهـا الجـوال،. بهـدوء أعـاد كـلّ شـيء إلى مكانـه وقفـل راجعـاً إلى غرفته.

استغرق عـادل في التفكير سـائلاً نفسـه إذا كـان سـامي لم يتورع عن ابتزاز أليدا حتى لا يفضـح علاقتهـا مـع والـده، عنـدها ليس من العجب أن يكون متورطاً في أعمال أخرى خارج القانون

للحصول على المال، المخدرات مثلاً، وبالتالي يمكن أن يكون قاتله أحد تجار هذه المادة السامة لخلاف وقع بينهما أو ما شابه ذلك. ثم هناك أليدا من الممكن أنها لم تعد قادرة على الدفع فقررت التخلص منه وإسكاته إلى الأبد، يجب أن أقابلها على انفراد، انتهى به التفكير عند هذا الحد.

عندما انطلق عادل باتجاه منزل أنيس اختار الوقت الذي لا يكون فيه الزوج موجوداً، فتحت له أليدا الباب وبانت عليها علائم الدهشة عندما رأته، برغم أنه يزورهم بين الحين والآخر، ابتسمت له مرحبة به داعية إياه للدخول قائلة: لم أتوقع زيارتك في مثل هذا الوقت، أية ريح قذفت بك إلى هنا دون أن تعلمنا بقدومك كعادتك دائماً، عساه أن يكون خيراً. رد عليها بأدب: لي حديث خاص معك لوحدك، في الصالون سوف نتكلم وأعلمك عن سبب حضوري المفاجئ.

عندما جلسا في الصالون بادرها بالقول حسناً سأكون معك صريحاً جداً وأدخل مباشرة في الموضوع الذي أتيت من أجله. أنت على علاقة مع والدي أليس كذلك؟ نظرت إليه بدهشة وكادت أن تقفز من مقعدها من هول المفاجأة، ردت عليه بغضب: خلتك مؤدباً وذا سيرة حسنة كيف تسمح لنفسك باتهام كهذا وبهذه الوقاحة؟ ألا تدرك... لم يدعها تتم كلامها، وقاطعها بالقول: يا عزيزتي إني أعلم كلّ شيء لقد ابتزك

سامي وجدت صورة لك مع والدي لا داعي للإنكار، أريد أن أعرف كلّ شيء عن هذه العلاقة، بدا اليأس واضحاً على محياها، أجابته بامتعاض ممزوج بالخوف: أتريد أنت أيضاً ابتزازي، أتريد المال أيضاً للسكوت، يا إلهي لقد حسبت بعد موت هذا النذل أنني أصبحت في أمان. أجابها عادل بهدوء: أنت مخطئة في ظنك، لا أنوي ابتزازك ولا فضح العلاقة، أنت تعرفينني جيداً يا أليدا كل ما أريده هو معرفة الحقيقة، تنهدت بارتياح عند سماعها ذلك وبدا أن الروح قد عادت إليها ثم تنفست الصعداء وهي تقول: علاقة كانت وانتهت لا حاجة لإثارة الغبار ونبش الماضي لأن ما بيني وبين والدك انتهى منذ أكثر من سنة أرجو أن تفهمني هذا كل ما أستطيع قوله لك.

عادل: حسناً لكن لا يوجد هناك مانع من أن تخبريني متى بدأ يبتزك؟

أليدا: منذ سنتين على وجه التقريب طلب مقابلتي على انفراد، لم يكن يخطر ببالي لماذا، ولم أكن أتوقع أنه علم بهذه العلاقة، عندما سألته لماذا طلب لقائي أجابني ببرود ضاحكاً بسخرية ودون مقدمات أريد ثمن سكوتي عن علاقتك بوالدي، أحسست عندها بالأرض تميد تحت أقدامي وكدت أن أقع من هول المفاجأة، تمالكت نفسي وبصعوبة بالغة قلت له كيف تسمح لنفسك.. لم يدعني أتمّ كلامي

قاطعني بالقول: هيه يا عزيزتي أتحسبين أني أبله أن أتهمك دون إثبات مثل هذه التهمة القاسية، قال ذلك وهو يخرج الصورة التي رأيتها أنت، لم يكن أمامي غير الرضوخ له، تم تحديد المبلغ الشهري الذي باستطاعتي دفعه وهكذا انتهى الأمر وأخذت أدفع.

عادل: يا للسافل لقد استحق هذه النهاية، لكن كيف علم بأمر هذه العلاقة إن ذلك يحيرني.

أليدا: صدقني لا أعلم، لكن يمكن أن أخمّن، أعتقد أنه كان ماكراً ولابدّ أنه لاحظ خلال إحدى السهرات تصرفاً ما لا أدري من قبلي تجاه والدك أو العكس أثار شكوكه، عمل بعدها على مراقبتنا وبالتالي شاهدنا مع بعضنا في يوم مشؤوم والتقط هذه الصورة اللعينة دون أن ندري بكل بساطة، ثم انتهت من كلامها بالقول الآن يا عادل هل يمكنني اعتبار هذا الموضوع برمته قد أصبح في طي النسيان.

عادل: لا عليك اعتبري كأن شيئاً لم يكن، آمل أن لا يكون لك يد في مقتله برغم أنني أقولها لك وبكل صراحة لقد استحق أخي هذا المصير، تنهدت أليدا قائلة بارتياح: لا أخفي عليك أني تمنيت موته ولو أني قمت بقتله لما كنت ندمت على ذلك أبداً، لقد توسلت إليه قبل مصرعه بفترة أن يدعني وشأني ويكف عن طلب المال لأن ذلك يشكّل عبئاً ثقيلاً عليّ، وقد

هددته بالقتل إن استمرّ في ابتزازي، أتدري ما كان جوابه؟ سكتت برهة ثم تابعت دون أن تنتظر رداً: قال لي: ستدفعين يا عزيزتي، ثم أنت جميلة ومرغوبة عند الرجال، يمكنك أن تحصلي من الأغنياء طالبي المتعة على ما تريدين وهم كثر، سأمهلك أسبوعاً لتدفعي ما عليك وأعتقد أنك ذكية بما فيه الكفاية لتعلمي نتيجة الرفض. أتدري يا عادل كنت بالتأكيد سأقتله لو لم يسبقني آخر. وكره زوجي له ليس من عبث بل لأخلاقه السيئة، وإن كنت تظن أنه يمكن أن يكون هو القاتل فإن باستطاعتي طمأنتك على أن ذلك مستحيل لأن زوجي غير قادر على القتل إطلاقاً لما يتمتع به من طيبة وشهامة.

* * *

موت مفاجئ

مرّ عام على مصرع سامي وما تلاه من أحداث دون أن يتوصّل المحقق نبيل إلى طرف الخيط الذي يمكن أن يؤدي إلى كشف غوامض هذه الجريمة، أولاً لأن الفاعل لم يترك أيّ دليل يشير إليه، وثانياً لأن دائرة المشتبه بهم ليست قليلة، والدافع إلى القتل موجود عند الكثيرين من أقاربه ومعارفه لذلك بقيت الجريمة غامضة لم يُكشف فيها النقاب عن الفاعل طول هذه الفترة ولم يكن بإمكان نبيل فعل شيء سوى انتظار الخطوة القادمة للقاتل على أمل أن يرتكب خطأً ما يؤدي إلى وقوعه في يد العدالة.

في أحد أيام آب والجو شديد الحرارة كان حارث جالساً في المقهى الذي يرتاده عادة يرتشف القهوة وهو غارق في التفكير في أحوال عائلته، فبعد أن تماثل للشفاء من الجرح الذي سببته له الرصاصة التي أصابته عند محاولة قتله قام بتبديل وصيته حيث أبقى لزوجته قدراً لا بأس به من المال يكفيها حاجتها لأن تعيش بكرامة طوال حياتها في حال حدوث مكروه له، ومعظم ثروته تركها لابنه وابنته اللذين يمضيان الآن عطلتهما السنوية

على البحر مع الخادمة إلهام التي اعتادت الذهاب مع العائلة كل عام.

أكثر ما أراحه خلال هذه الفترة استقرار حالة ابنته النفسية، واتجه تفكيره نحو عادل فهو شاب عصامي طموح يعتمد على نفسه ذو أخلاق عالية، هذا الشاب برأيه ونتيجة خبرته الطويلة في الحياة بالناس من المؤكد أنه سيعمل على إسعاد ابنته ولو على حساب سعادته في حال تزوجها وهذا أقصى ما يتمناه أن يرى ابنته في أياد أمينة وسيكون مرتاح البال عندها بشأن مستقبل ابنته التي في الفترة الأخيرة ولحسن الحظ بدأت تميل إلى هذا الشاب الطموح. أفاق من تفكيره على صوت النادل يسأله إن كان يرغب بمشروب ساخن آخر، لكنه عندما نظر إلى ساعته وتذكّر أنه في صباح يوم الغد سيغادر مع زوجته البلد متجهاً إلى البحر للحاق بباقي أفراد العائلة وقضاء إجازته السنوية المعتادة هناك بعد أن أنهى جميع أعماله الضرورية. نهض بسرعة وهو يقول للنادل لا شكراً لقد شربت ما فيه الكفاية إضافة إلى كوني قد تأخرت في العودة إلى المنزل ثم دفع الحساب وغادر المقهى عائداً إلى بيته.

عندما ولج حارث داخل المنزل تناهى إلى سمعه صوت المذياع في غرفة النوم يبث موسيقى هادئة، ابتسم وهو يتجه إلى مصدر الصوت متمتماً لنفسه لابدّ أن زوجتي الحبيبة نائمة على أنغام

هذه الموسيقى الجميلة. لكنه عندما دخل الغرفة ولدهشته لم تكن هناك، عندها أخذ يناديها معلناً قدومه لكنه لم يسمع ردها، أخذ ينتابه شعور غامض مبهم لا يدري له سبباً، شعور قاتم لم يجد له تفسيراً بأن شيئاً ما قد يكون قد حدث، تملكه الانفعال وأخذ يبحث عن زوجته في باقي الغرف، لكنه لم يعثر لها على أثر، أخذ يهمس أين هي أنا أعرف ربنا لو أنها خارج المنزل لما تركت المذياع مفتوحاً. عندما أخيراً فتح باب الحمام أطلق صرخة خوف وفزع لما رأى، فقد شاهد زوجته عارية في "البانيو" بلا حراك، يدها اليسرى قد تدلّت خارج "البانيو" ووجهها قد مال إلى الجهة اليسرى أيضاً، استولى عليه الرعب وهو يقترب من "البانيو" صائحاً ربنا حبيبتي هل تسمعينني، ماذا أصابك، ردي عليّ أجيبيني، لكنه لم يسمع سوى صدى صوته عندما تمعن فيها جيداً وأدرك أنها فارقت الحياة أحسّ أن شعر رأسه قد وقف، لينطلق بعدها كالمجنون إلى الصالون، قلبه من سرعة دقاته كاد أن يخرج من صدره، أخذ يتساءل هل يمكن أنها أصيبت بنوبة قلبية وهي في الحمام، عليّ أن أخبر أحداً، لكن من؟ هل أخبر طبيب العائلة أولاً، ثم تذكر نبيل، تناول الهاتف بيد مرتجفة عندما سمع صوت نبيل من الطرف الآخر، وبكلمات بالكاد أن تكون مفهومة ومن خلال الدموع المنهمرة على خديه أخبره حارث

بالفاجعة التي ألمت به، ودون أن ينتظر رداً، ترك سماعة الهاتف تسقط من يده بلا وعي منه، رامياً نفسه إلى أقرب أريكة متهالكاً عليها وقد غطى وجهه بيديه باكياً بصوت عال مردداً: بالله عليك يا رنا لا تتركيني.

نبيل الذي عندما تلقف الخبر أحسّ كأن صاعقة أصابته، أراد أن يعرف المزيد من التفاصيل وأن يعطي الزوج المفجوع التعليمات اللازم إتباعها لحين حضوره. عبر الهاتف لم يتلقّ رداً على كلامه، أغلق سماعة الهاتف وهو يشتم ويسب، هذه المفاجأة البشعة أفقدته صوابه وتوازنه، أخذ يصرخ بصوت عال لقد حذّرت هذه الغبية من الخطر الذي يتهددها، حذرتها من أن الموت على قاب قوسين أو أدنى منها، الآن ماتت ومات سرها معها.

بسرعة البرق وكالرجل الآلي الذي يتحرك عارفاً عمله توجه إلى سيارته، حين وصل البيت فتح له الباب حارث المنهك والمحطم، قاده المضيف إلى مكان الجثة التي ما إن تفحصها بدقة وإمعان دون أن يلمس شيئاً حتى قال لحارث هذه ليست ميتة طبيعية لقد ماتت مخنوقة، آثار الخنق واضحة عليها، ثم تناول هاتفه ليتصل بمساعده رامز معطياً له التعليمات اللازمة بما يجب أن يفعله، بعدها أغلق الهاتف وجال بنظره في أجزاء الحمام عساه أن يقع على شيء ما قد يكون القاتل قد نسيه أو

سقط منه سهواً، لم يجد شيئاً يستحق الذكر، عندها التفت إلى صاحب البيت طالباً منه بصوت أجش الذهاب إلى الصالون لأخذ إفادته لحين حضور ورشة العمل الجنائي، في الصالون وبعد أن جلسا بادره فوراً بالسؤال عن الوقت والكيفية التي تم فيها اكتشاف الجثة، أجابه حارث المنهار على طلبه بالكامل.

المحقق: أخبرني عن تحركاتك لهذا اليوم قبل قدومك إلى المنزل واكتشاف الجثة.

حارث: أمضيت الوقت كله في الصباح مع زوجتي إلى الساعة الثانية عشرة ظهراً حيث غادرت إلى المقهى الذي أجلس فيه عادة وبقيت فيه تقريباً إلى الساعة الثالثة بعد الظهر وفور اكتشافي جثة المرحومة زوجتي قمت بإبلاغك، دوّن المحقق اسم وعنوان المقهى قبل أن يتابع تحقيقه.

المحقق: أين أفراد الأسرة الآخرين؟

حارث: ذهبوا إلى البحر منذ ثلاثة أيام.

المحقق: لقد ماتت زوجتك مقتولة، ألا تعتقد أنها كانت تعلم شيئاً ما أخفته عني، لربما قالته لق، واعلم أنك تعرضت لمحاولة، القاتل لا يرحم، وأنا متأكد أنه سيحاول قتلك من جديد إنه بالتأكيد غير مطمئن من أنك تعرف ما عرفته زوجتك.

حارث: يا حضرة المحقق زوجتي توفيت، مهما كان السبب لقد فقدتها، لا أعرف من رغب بقتلها ولماذا، لم تخبرني المرحومة أية معلومة تفيدك بهذا الخصوص، لا أدري ما الدافع لأن يرتكب أحد مثل هذه الفعلة الشنعاء إن كان هناك جريمة قتل.

المحقق: لقد شعرت من البداية أنها تخفي عنا شيئاً هاماً ومفيداً للتحقيق لا أدري لماذا فعلت ذلك، ثم لا تنسَ أن المجرم حاول قتلها قبل هذه المرة، عندما نجت بأعجوبة من الدهس بسيارة، أليس كذلك؟

حارث: إن كان هناك جريمة قتل، سوف أعمل ما بوسعي لمعرفة القاتل وملاحقته مهما كلفني الثمن وعندها سيكون حسابه عسيراً، سأقتله بيديّ هاتين. قال ذلك وهو يضرب يده بقوة على الطاولة التي أمامه.

المحقق: هدّئ من روعك يا صاحبي وحاول أن تتذكر معي مِن الممكن أن تكون زوجتك قبل مصرعها قد أخبرتك بأمر ما قد لا تراه أنت مهماً ولكنه قد يكون بداية الخيط، هيا اعصر ذهنك، بعد لحظات من التفكير العميق أجاب حارث وهو يهزّ برأسه: إني آسف يا حضرة المحقق أنا متأكد تماماً إنها لم تذكر لي أي شيء غير طبيعي.

في هذه الأثناء وصل فريق التحقيق وباشر عمله.

بعد أن انتهى فريق التحقيق من مهامه من معاينة مبدئية للجثة من قبل الطبيب الشرعي إلى أخذ البصمات وتصوير الجثة في موقع الجريمة إلى آخر ما هنالك من أعمال ولم يبق أمامهم عمل سوى المغادرة، قبل المغادرة توجه المحقق إلى حارث بالقول: نتيجة خبرتي في المجال الجنائي أقول لك إن المجرم بعد جريمته الأولى على استعداد لأن يرسل إلى العالم الآخر أي شخص يشكل خطراً عليه بالوقوع في يد العدالة، ومن البديهي أن تكون أنت التالي على قائمته، لا تنسَ أنه حاول قتلك ونجوت بأعجوبة، عليك أن تتوخى الحذر يا صاحبي في تحركاتك إلى أن نمسك به.

أما بالنسبة للضحية يمكنك القيام بواجبات الدفن بعد تشريح الجثة. لم تمض ساعات قلائل على وفاة رنا حتى كانت العائلة بأكملها في بيت حارث، أليسا فقدت وعيها لدقائق معدودة بعد وصولها المنزل غير مصدقة ما حدث وأنها فقدت أمها إلى الأبد، الحزن والبكاء طغى على جميع أفراد العائلة، عائلة سمير برغم الحزن الذي لفهم لمقتل رنا حاولوا قدر الإمكان تخفيف المصاب الأليم عن أفراد العائلة المفجوعة وخصوصاً عادل الذي بان عليه الخوف من حالة أليسا الصعبة فوقف إلى جانبها يشدّ من أزرها ويواسيها في محنتها القاسية هذه.

جلس نبيل بعد يومين من مقتل رنا يراجع تقارير فريق التحقيق الخاصة بهذه الجريمة، تقرير الطبيب الشرعي أكّد أن الموت حصل بسبب خنق الضحية بمحرمة أو ربطة عنق حيث آثار الخنق واضحة على عنقها، وأن الوفاة حصلت مابين الساعة الثانية عشرة والواحدة ظهراً، كما أشار التقرير إلى عدم وجود حالة اغتصاب للقتيلة، بالنسبة لتقرير بصمات الأصابع لم يكن فيه شيء يستحق الذكر، تقرير مساعده رامز يخبره فيه أنه تم رصد مكالمتين هاتفيتين للمجني عليها في حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً مع أليدا زوجة أنيس وكارمن شقيقة حارث، وبناءً على أقوال الشهود ومن بينهم النادل أن زوج الضحية كان موجوداً في المقهى الذي ذكره من الساعة الثانية عشرة ظهراً حتى الساعة الثالثة بعد الظهر، وبالتحقيق مع أليدا وكارمن عن فحوى المكالمتين تبين أنهما كانتا دعوة من رنا للمذكورتين إلى الحضور لطرفها لتناول فنجان من القهوة بغية التسامر والتسلية لكن كارمن اعتذرت عن الذهاب بحجة أنها تعاني من حالة صداع شديد، أما أليدا التي اعتذرت أيضاً بحجة أن لديها واجبات منزلية يجب أن تنهيها قبل قدوم زوجها أنيس إلى البيت.

عندما انتهى من الاطلاع على التقارير أرخى جسده على الكرسي مستغرقاً في التفكير في محاولة لمعرفة طريقة تفكير هذا القاتل عساه من خلال ذلك يصل إلى نتيجة ما قد تساعده في

الإمساك بطرف الخيط، أول خاطر مرّ بباله أن القاتل يتمتع بذكاء يحسد عليه، حريص كلّ الحرص أن لا يترك أي أثر قد يدلّ عليه، وبالتالي فهو بالتأكيد يخطط لجريمته بدقة وإحكام قبل أن يقدم على ارتكابها، عالم بحركات ضحاياه على الأغلب لمعرفته الوثيقة بهم، أما الدافع للقتل في الجريمة الأولى فهو موجود لآن من كان يرغب بموت سامي كثيرون إما بسبب الغيرة أو الابتزاز، أما الدّافع للجريمة الثانية فهي معرفة القاتل بأن المجني عليها تشكل خطراً عليه، لكن ما حيّره لماذا أصرّت الضحية على السكوت وعدم البوح بما تعرفه؟ فهي بالتأكيد لم تكن غبية إلى هذه الدرجة حتى لا تعلم مدى الخطر الذي يتهددها من قبل القاتل وخصوصاً بعد محاولة القتل الأولى لها، الآن فات الأوان لمعرفة سرها الذي ذهب معها إلى القبر، ثم إن هناك أمراً شديد الأهمية، كيف تمكن القاتل من الدخول إلى منزل القتيلة بهذه السهولة، هل كانت على معرفة وثيقة وحميمة معه فسمحت له بالدخول ووجودها في الحمام مقتولة وهي عارية يمكن أن يؤكد ذلك، وأن القاتل على معرفة وثيقة بالعائلة، استقبلته الضحية ولم يكن يدر بخلدها أنه سيقوم بقتلها، بعد تنفيذ جريمته تعمد القاتل أن يضع الجثة في الحمام بعد أن نزع عنها ثيابها لإثارة الشبهات حول الزوج حارث، الذي لحسن حظه كان موجوداً في مقهى يرتاده عادة بعيداً عن

منزله وقت حصول الجريمة مما لا يدع مجالاً للشك فيه. لينتهي به التفكير إلى نتيجة على أن القاتل محترف وخطير، لكن المحقق أمل أن يقبض عليه في القريب العاجل إذ لا بدّ لهذا الجاني أن يرتكب أخيراً خطأً ما سيؤدي به إلى المشنقة، والمحقق كان يعلم نتيجة خبرته الطويلة في المجال الجنائي أن المجرم لن يقدم في المدى المنظور على أية خطوة متهورة تؤدي إلى الكشف عنه، سينتظر إلى أن تهدأ الأمور كلياً قبل أن يقدم على ارتكاب جريمة جديدة.

❀ ✸ ❀

الخطبة

مـ - - - ر شهر على مقتل رنا وبدأت الحياة تدريجياً تعود إلى مجراها الطبيعي في محيط أفراد العائلة المفجوعة باستثناء حارث الذي بدأ ينطوي على نفسه على غير المعتاد، ممضياً أكثر وقته في غرفته واجماً والحزن الشديد لفقدانه زوجته واضح على محياه، إن موت زوجته ورفيقة عمره قد أصابه في الصميم، أحسّ أنه فقد جزءاً من كيانه، فقد شيئاً عزيزاً عليه، بل يمكن القول إن أغلى ما يملك في هذه الحياة قد ضاع منه وأن يد القدر قد خطفت منه محبوبته وشريكة حياته رنا تاركة إياه في ضياع.

في محنة العائلة هذه أخذ عادل يتردد بشكل يومي إلى منزلهم محاولاً قدر الإمكان مواساتهم والتخفيف من حزنهم، ومحاولة إضفاء نوع من البهجة على جو الحزن السائد في محيطهم، هذه الزيارات كان يشجعها صاحب البيت حارث لعلمه بأنها ستقرب بين عادل وابنته أليسا وعلمه أيضاً بأن نهايتها ستكون حتماً زواج هذا الشاب الطموح بابنته الغالية. زواج طالما تمناه، لم يخب ظنه ولم ينتظر طويلاً ليرى أن ما

تمناه قد أصبح حقيقة، فقد حققت الزيارات المتكررة لعادل أن يجالس أليسا يومياً، في كل يوم كان حبه لها يزداد ويقوى حتى أنه بات لا يقوى على فراقها، أحسّ عادل خلالها بنوع من السرور يجتاحه لأنه لاحظ في الفترة الأخيرة كيف تختلس أليسا النظر إليه وقد لمع في عينيها بريق الحب ومبدية له الامتنان لوقوفه إلى جانبها ومواساتها في أصعب لحظات حياتها، لم يصارحها بحبه أبداً خلال هذه الفترة، لأن فكرة حبها لأخيه القتيل برغم مرور فترة طويلة على ذلك لم تفارق ذهنه، شبح أخيه لم يزل يلقي بظلاله على هذا الحب كأنه حائط إسمنتي صلب يقف حائلاً بينه وبين محبوبته، كبرياؤه منعه من مطارحتها الغرام والاعتراف لها بحبه العنيف، لكن هذا الجرح بدأ يندمل مع الأيام، وخصوصاً بعدما أخذ حارث العليم بما يعذب هذا الشاب يوجهه بنصائحه وبشكل لبق وغير مباشر إلى أن الماضي الذي فيه شقاء وآلام يجب أن يذهب للنسيان وإلاّ دمّر حياة الإنسان، وأن عليه أن يدرك ويعي أن الإنسان أياً كان معرض في حياته لأن يرتكب الخطأ لأن ما من أحد معصوم عن ذلك. أخذ عادل يدرك تماماً صواب ما كان يرمي إليه حارث من وراء تلك النصائح، لن يدع أشباح الماضي تدمّر حياته وتحطّم فؤاده، لِمَ لا أنسَ صورة أخي، أخذ يسائل نفسه، لو أن الإنسان يفعل الصواب دائماً ولا يرتكب

الخطأ لكانت الحياة اتخذت مساراً آخر، وأولاً وأخيراً أليسا فتاة شابة بريئة غرّها كلام معسول وحنكة من قبل " كازانوفا" متمرس وخبير بأساليب إغواء النساء ذوات الخبرة فما بالك بالفتيات البريئات الخجولات، لابدّ أنها وقعت في شباكه دون وعي منها، ثم إنها في علاقتها هذه كانت واعية جداً ولم تتعد الحدود، وفي أعماقه حمد الله لأن والدها النبيل وقف حائلاً بين أخيه القتيل وبين تحقيق مأربه البشع، هذا الوالد الخبير بالناس إنسان رائع يندر أن تصادف رجلاً مثله بهذه الصفات من شهامة ورجولة وكرم، فخر لأي شاب مصاهرته، لذلك قرّر مصارحة أليسا بحبه ومن ثم طلب يدها من والدها للزواج، لكن كان عليه أن يتأكّد من شعورها نحوه قبل كلّ شيء، عندما فاتحها بحبه ورغبته بأن تكون زوجة له أطرقت برأسها في الأرض ووجهها قد احمرّ من الخجل والسعادة قد غمرتها قائلة له: كنت أنتظر هذه اللحظة بلهفة، إني أحبك يا عادل ألم تدرك ذلك بعد؟ كانت صريحة، لم يصدق أذنيه نهض والدنيا لا تكاد تسعه من الفرح متقدماً نحوها ليأخذ وجهها بين يديه ويقبّل وجنتيها ثم يغادر المنزل والابتسامة العريضة قد علت محياه.

بعد ذلك تم كلّ شيء بسرعة، تقدم أهل العريس بطلب يد أليسا من والدها، الذي انتابه سرور طاغ في تلك اللحظات،

حارث الذي لم يعرف بعد موت زوجته إلاّ الألم والحزن والدموع أتته لحظات يسعد بها برغم أنها ستكون آنية، بعد علمه بأن ابنته وحياتها المستقبلية ستكون كما أراد من حياة زوجية سعيدة مع زوج عاقل ورزين، لم يعد يهمه ما يحدث له بعد أن تم تحديد موعد الخطبة، جلس حارث مع ابنته وخطيبها لوحدهم وبناءً على رغبته متوجهاً في البداية إلى الخطيبين بمباركة هذه الخطبة التي ستتم في وقت قريب معرباً عن سعادته العميقة لكون عادل سيصبح صهره المرتقب، ثم تابع الكلام بالقول بحسرة وألم، كم كنت أتمنى لو أن رنا حاضرة هذا الحدث السعيد ومع دمعتين سقطتا على خديه قال لعادل يسعدني يا بني أن يكون صهري على شاكلتك، حدسي لا يخطئ نتيجة خبرتي الواسعة في هذه الحياة بأنك ستفعل ما بوسعك لإسعاد ابنتي الغالية كما فعلت ما بوسعي لإسعاد زوجتي وأولادي، أعلم تماماً أنني أسلمتها إلى أياد أمينة، لكن لديّ رغبة آمل أن لا تزعجك، إنني أرغب يا صهري العزيز أن تسكن معي هنا في نفس المنزل، أنت لا تعرف مدى حبي لأليسا وبعدها عني لن أقدر على تحمله، بعد أن فقدت زوجتي لن أقدر على تحمل فقدان عزيز آخر بالرحيل عني، وأنت تعرف حبي لك فأنت بالنسبة لي كابني داني وبمكن أن تعتبر البيت بيتك.

بان الارتباك واضحاً على عادل وهو يقول: لكن يا عمي الناس سيقولون إنني طامع.. لم يدعه حارث يتم كلامه، قاطعه قائلاً: ما بالك وبال الناس يا ولدي ما يهمك ويهمني أن لا تشعر بالحرج عندما تسكن هنا، أعرفك تمام المعرفة وهذا يكفيني. ماذا قلت يا بني، أومأ عادل برأسه موافقاً على ذلك وقائلاً ليكن ذلك ما دامت هذه رغبتك يا عمي.

في اليوم المحدد للخطبة توافد المدعوون إلى منزل حارث تباعاً ومن بينهم نبيل ومساعده رامز، بدأت الموسيقى الهادئة تصدح والخدم المستأجرون لهذه الليلة يتحركون بين الضيوف لخدمتهم موزعين الشراب والحلويات وباقي أصناف الضيافة للمدعوين.

توجه نبيل صوب البار المنزلي طالباً كأساً من الويسكي أخذه في يده وبدأ يرتشف منه رشفات بيت الحين والآخر متأملاً الجموع خصوصاً أفراد عائلتي حارث وسمير وهو يهمس بصوت خافت لابدّ أن القاتل واحد منكم، كلّ فرد منكم لديه الدافع للقتل، لكن كيف لي أن أصل للفاعل، يجب أن أنصب له فخاً وآمل أن يسقط فيه، لكن كيف؟ بعد لحظات من الشرود العميق قطب حاجبيه وهو يردد يا إلهي كيف لم يخطر على بالي ذلك من قبل، لقد وجدت الوسيلة للإيقاع بالمجرم، رنا قتلت لمعرفتها بمعلومة تفضي إلى الفاعل، ببساطة القتيلة سوف

تتكلم لتقول ما تعرفه، فكرة بسطة للغاية خطرت لي بعد مراقبتي أفراد العائلتين في هذا الحفل، عندما يشعر القاتل بخطر محدق به سوف يتحرك، لن يكون بهذا الهدوء الذي يبديه الآن بين هذه الجموع وكأن شيئاً لم يحصل. الفأر المذعور سوف يخرج من جحره عندما يشعر أنه غير آمن فيه، هناك بعض الصعوبة في خطتي التي خطرت على بالي هذه اللحظة بسبب مرور أكثر من شهرين على موت رنا، لكل صعوبة هناك حلّ. انتهى به التفكير عند هذا وقد بدا عليه السرور، عاد نبيل بعدها يرتشف الويسكي من كأسه الذي كاد أن ينضب وقد تنفس الصعداء.

* * *

الشرك

بعـد يومين من حفلة الخطوبة وبينما حارث جالس في البيت حزينـاً وغارقـاً في التفكير بما آلت إليه الأحداث التي مرت ومقتل زوجته الحبيبة رنا إذ به يتلقى اتصالاً هاتفياً من شخص عرّف نفسه على أنه المحامي بشير المعروف في البلد ببراعته ومهارته في كسب القضايا التي يتولاها من قبل أهل المدينة والمدن الأخرى، دهش حارث للاتصال معرباً عن ذلك للمحامي الذي ردّ عليه بوقار ظاهر وجدّية واضحة في نبرات صوته أن رنا قبل وفاتها بفترة وجيزة أتت إلى مكتبي وأودعت لديّ مظروفاً مختوماً طالبة مني أنه بحال وفاتها في ظروف غامضة وبعد مرور شهرين على الأقل من تاريخ الوفاة أن أقوم بفتح المظروف وقراءة ما بداخله في بيت زوجها وبحضوره وحضور جميع أفراد العائلة مع سمير وعائلته، كذلك مع أنيس شقيق زوجها وزوجته وأخيراً كارمن شقيقة حارث وعلى اعتبار أنها سددت لي أتعابي مسبقاً بعد أن قبلت المهمة فإن واجبي يقضي عليّ تنفيذ رغبة المرحومة زوجتك وعليه فقد قررت أن يكون الاجتماع بعد أسبوع اعتباراً من اليوم وفي تمام الساعة العاشرة صباحاً بمنزلك، وقد قمت

حتى هذه اللحظة بإبلاغ بعض المعنيين بالأمر وسأقوم بإبلاغ من تبقى في نهاية هذا اليوم، أصيب حارث بالذهول عند سماعه ذلك، في البداية لم يجد كلاماً يرد به على المحامي من الحيرة والارتباك بل يمكن القول عدم التصديق لما سمع، مرت لحظات قبل أن يتمالك نفسه ويرد بالقول: أنا زوجها لماذا لم تخبرني بذلك من قبل فحقّي أن أعلم كلّ أمر يخصّ زوجتي المتوفاة، ردّ عليه المحامي بهدوء قائلاً: هكذا كانت رغبة زوجتك بأن لا أعلم أياً كان بذلك وأنا احترمت رغبتها ولا أرى سبباً يدعو إلى عدم الرضا أليس كذلك؟ ردّ عليه حارث: بالطبع إن ذلك سيكون من دواعي سروري عساىَ أن أعرف من مضمون ما بداخل المظروف شخصية المجرم الذي قام بقتل درّتي الغالية لأنني لن أدخر جهداً بالعمل إن عرفته على إرساله إلى العالم الآخر فهي كانت زوجتي ورفيقة الدرب والقلب ولا أخفيك أنني الآن أشعر ببعض الارتياح على أمل أن أقتصّ من القاتل أخيراً وأشفي غليلي منه. اتصل بشير بالمحقق نبيل ليعلمه أنه نفّذ بدقة كل ما طلبه منه ولم ينس أيضاً أن يخبره عن الانفعال الذي أصاب الجميع والدهشة التي أصابتهم عند سماعهم بوجود الظرف المختوم المزعوم المودع لديّ من قل القتيلة رنا. لكنه أبدى خوفه الشديد وقلقه للمحقق من أن يطاله المجرم بطريقة أو بأخرى لأنه أي بشير أصبح يشكّل خطراً

جسيماً بل وأكيداً على ذلك القاتل الذي سيعمل ما بوسعه لإزاحته من الطريق والحصول على المظروف، لكن المحقق طمأنه بأنه سيكون بأمان مؤكّد طيلة هذه الفترة وطلب منه أن يكون رابط الجأش وأن لا يفقد أعصابه ويقوم بتصرف أحمق يكشف اللعبة ويعطل عليه خطته المحكمة بإتقان.

اتصل المحقق بعد ذلك بمساعده رامز ليطمئن عن الإجراءات الأمنية المتخذة للحفاظ على سلامة المحامي بشير تحسباً لأي تحرك قد يقوم به القاتل، كما طلب منه زيادة الاحتياطات الأمنية، طمأنه مساعده على أن كل شيء على ما يرام وحسب الخطة الموضوعة، وبأن المخبرين السريين الأكفياء يحيطون بالمنزل متنكرين كباعة متجولين، كما أنه تم تعيين عدد من المشهود بهم في الكفاءة بمتابعة تحركات المحامي وحمايته، ابتسم المحقق لسماعه ذلك قائلاً حسناً يا رامز لقد قمت بعمل جيد ثم أغلق السماعة وأخذ يفرك يديه مسروراً وقد بدا عليه الارتياح وهو متأكد بأن الجاني سيصيبه الهلع الشديد من مضمون ما بداخل الظرف المختوم المزعوم، وبالتأكيد سيحاول الحصول عليه وربما قتل المحامي لإغلاق فمه إلى الأبد، هذا القاتل الخفي سيرتكب أخيراً الخطأ المميت وسيقع في الفخ المنصوب له غير مدرك أن المحقق قد أعدّ له هذا الشرك.

مرّ يوم ثم ثان فثالث حتى انتهاء اليوم الخامس ولم يحدث ما كان يتوقعه وينتظره المحقق من تحرك القاتل نحو المصيدة وأخذ اليأس يتسرب إليه وأخذ يتساءل يا ترى هل ارتاب القاتل في الأمر، هل كشف اللعبة؟ لكنه طرد هذه الفكرة من ذهنه هامساً هذا مستحيل لقد أحطت الخطة بسرية كاملة، لكن لماذا أنا مرتاع لا يزال هناك يومان لموعد الاجتماع، لابدّ أن المجرم ينتظر اللحظة الأخيرة ليضرب ضربته. صحّ ظنه ولم يخب حدسه، ففي منتصف ليل اليوم السادس تلقى مكالمة من أحد المخبرين السريين يعلمه بأن شبحاً يتحرك باتجاه بيت المحامي، رد عليه المحقق بهدوء: أطلب منكم جميعاً الحذر والحيطة في تحركاتكم لحين القبض على الشخص المجهول بالجرم المشهود وأنا قادم إليكم للتو إياكم وارتكاب أية حماقة قد تؤدي إلى فشل الخطة. نعم سيدي، رد المخبر.

بدا المحقق بغاية العصبية والانفعال وهو يتجه إلى المكان المنشود وهو يبتسم ابتسامة تكاد تكون هستيرية وهو يتحرق شوقاً لمعرفة من يكون الجاني.

في هذه الأثناء أخذ الشبح يتفقد المكان بدقة وحذر خطوة خطوة ناظراً يمينه وشماله ليتأكد من خلوّ المكان مستعيناً بالبيل الذي بيده لينير له الطريق، لما وصل إلى المنزل واطمأن على أن المكان آمن ولا يوجد أحد بالقرب من محيط المنزل،

أخـرج مـن جيبـه كـومـة مـن المفـاتيح، أخـذ يجـرب الواحـد تلـو الآخر في فتحة الباب الرئيسـي ليفتحـه حتـى تم لـه مـا أراد، فتح البـاب وولج إلى الـداخل بهـدوء مسـتعيناً ببطاريتـه الصـغيرة لتكشـف لـه في هـذه العتمـة الكالحـة بضـوئها الخافت أرجـاء المنزل، ما كاد ينتهي من استطلاع محتويات إحدى الغرف بعد أن فتح بابها حتـى سـطع الضـوء في المنـزل فجـأة ووجـد الشـبح نفسه محاطاً بعدد من الرجال الأشداء ومسدساتهم موجهة نحوه طالبين منه عدم الحركة ورفع اليدين إلى الأعلى، مع تنبيهه ألاّ يقدم على أية خطوة حمقاء تعرضه لإطلاق النار عليه من قبلهم فوراً ستؤدي به إلى الموت حتماً. أسقط في يد الشبح الذي أخذ يتمتم بكلمات غير مفهومة وهو يرفع يديه إلى الأعلى معلناً استسلامه وخضوعه الكامل للأوامر، في هذه الأثناء وصل المحقق إلى المنـزل حيث رأى النور عندما سطع فيه وأدرك أن رجاله اقتنصوا الشخص المجهول، هرع إلى الداخل وقد بانت في عينيـه اللهفـة الممزوجـة بالسـرور الطـاغي لكـون خطتـه قـد نجحـت، ولمعرفـة مـن يقـف وراء كـل هـذه الأحـداث والجـرائم، عندما نزع نبيل الوشاح الأسود الذي يغطي وجه المقبوض عليه، للوهلة الأولى بانت عليه الدهشة الشديدة لأن هذا الشخص لم يكن من عائلة سمير ولا حارث ولا يذكر أنه رآه من قبل، إنه بكل بساطة لا يعرف من يكون هذا، قطّب حاجبيه للحظة

وبدأت خيبة أمل تظهر على وجهه كأنه أحسّ أن الخطة التي وضعها لم تنته كما أراد فالمنطق يقول إن القاتل، على الأغلب، أحد أفراد العائلتين أو من الأقارب الآخرين الذين لديهم الدافع للقتل ـ لحظة مرت قبل أن يمسك بكتفي الرجل ويهزّه بعنف شديد وهو يصيح في وجهه: من تكون قل لي قبل أن أفقد أعصابي وأودي بك إلى الجحيم. أجابه الشخص المجهول وقد بدا الرعب واضحاً في عينيه بصوت متلعثم خائف وبالكاد يفهم من الهلع: مهلاً يا سيدي فما أنا إلاّ لص جئت للسرقة. ردّ عليه نبيل بحنق مكتوم: ماذا تقول أيها الكاذب المحتال ما أنت إلاّ قاتل جئت لقتل المحامي وأخذ المظروف المختوم بعد أن ارتكبت قبل ذلك جريمتي قتل، هيا اعترف فقد قبضنا عليك بالجرم المشهود ولا يمكنك إنكار ذلك، كما أنه ليس لديّ الوقت لأضيعه بالعبث معك.

لكن الرجل أجابه وهو يتوسل إليه: أقسم لك يا سيدي إني لص محترف لست بقاتل، اسمي رابح ولي سوابق في فتح الخزن والسرقة، دخلت السجن عدة مرات بسبب ذلك، لي سجل عندكم يمكنكم التأكد من ذلك، أقسم لك إنها الحقيقة. كظم نبيل غيظه وهو يتمعن جيداً في وجه الرجل ليتذكر أنه يعرفه وهو بالفعل لص محترف مشهور بدخول الشقق وفتح الخزائن فقد قبض عليه شخصياً في إحدى المرات وهو يقوم

بسرقة إحدى محلات الصاغة، أجاب نبيل: لعنة اللّه عليك الآن تذكرتك أيها اللص التافه، لكن ما الذي أتى بك إلى هنا؟ رد عليه اللص بخوف: مهلاً عليّ يا سيدي سأخبرك بكل شيء. سكت برهة عن الكلام ثم استأنف القول: تلقيت اتصالاً هاتفياً منذ يومين من شخص مجهول ذو صوت مبحوح، نبرته بين الناعم والخشن لا أقدر أن أجزم هل المتكلم رجل أم امرأة طالباً مني أن أحصل على ظرف مختوم موجود في هذه الشقة وإن لم أستطع إيجاده عليّ أن أجبر المحامي تحت تهديد السلاح على إعطائي إياه، في مقابل ذلك سأحصل على مبلغ كبير من المال يسيل له اللعاب، موضحاً لي طريقة الاستلام والتسليم بإعلامي أنه سيكون بانتظاري بعد قيامي بالمهمة والعودة من حيث أتيت في مكان ما يرتئيه هو لم يحدده لي حيث سأكون خاضعاً لمراقبته عن كثب خلال العملية، في ذلك المكان سيقوم بتسليمي المال مقابل الظرف مهدداً إياي بعدم فتحه لأنه في حال فعلت ذلك سيرسلني إلى العالم الآخر، جحظت عينا نبيل من الدهشة، ضارباً بيده على جبينه بقوة من شدة الغضب قائلاً كان عليّ أن أتوقع ذلك، ليتوجه بعدها إلى رجاله آمراً إياهم أن يتحركوا بسرعة ويمشطوا المنطقة على أمل أن يكون القاتل لا يزال في متناول اليد وبالإمكان القبض عليه.

خلال هذا الوقت وعلى مسافة لا بأس بها من المنزل كان هناك شخص متشح بالسواد من قمة رأسه إلى أخمص قدميه وينتعل في قدميه حذاءً رياضياً يراقب البيت بمنظار ليلي، في لحظة سطوع النور في بيت المحامي الذي كان غارقاً في الظلام، استدار على عقبيه فوراً وغادر المكان بهدوء وسرعة.

عاد المخبرون بعد فترة ليعلموا نبيلاً أنهم لم يعثروا على أي شخص خلال تمشيطهم للمنطقة.

تهالك المحقق عند سماع ذلك على أقرب كرسي مردداً بأسى وخيبة أمل نحن أمام مجرم داهية، فائق الذكاء، لا يدع مجالاً للصدف أن تلعب دوراً في الكشف عنه، نجا من فخ محكم أعددته له هذا يدل على أنه بعيد النظر إذا نوى على أمر لا يقدم عليه إلاّ بعد دراسة وتفحّص واضعاً في الميزان حسابات الربح والخسارة، لكن في النهاية مهما بلغ من الحنكة والذكاء لابد أن يسقط في يد العدالة. ثم تنهد بحسرة وغادر المكان عائداً إلى بيته. بعد مرور شهرين تقريباً على ذلك الحادث تلقى نبيل الدعوة لحضور زفاف أليسا إلى عادل، خلال حفل الزفاف الذي حضره مع مساعده رامز، لاحظ كيف أن العريس والعروس بين الفترة والأخرى يتبادلان نظرات كلها حب وهيام، وبدا عليهما بوضوح أنهما ينتظران انتهاء الحفل بفارغ الصبر لينفردا مع بعضهما، ابتسم نبيل وهو يقول لمساعده رامز

لقد قلت لأليسا في إحدى المرات إنها تميل لعادل لكنها لم تدرك ذلك في حينها.

⁂

وفاة حارث

أصبح حارث بعد وفاة زوجته مختلف الطباع كلياً عن ذي قبل، علائم الحزن العميق واضحة على محياه، والابتسامة الحلوة النابعة من صميم القلب لم تعد تعرف طريقاً إلى وجهه، هذا الإنسان الاجتماعي المرح الذي عُرف بحبه للحياة وحيويته الدافقة، أخذ شيئاً فشيئاً ينطوي على نفسه، وبعد مرور شهور على وفاة زوجته وبدلاً من أن يشفي الزمن جروحه كما أمل المحبون له، حدث العكس تماماً، وبات يمضي أكثر وقته في غرفة نومه وحيداً طالباً أن لا يزعجه أحد في وحدته، ممضياً وقته ساهماً وشارد الفكر أو متأملاً بين الحين والآخر صورة كبيرة له ولزوجته من الماضي البعيد أُخذت في أول لقاء بينهما على شاطئ البحر، الناظر إليها باستطاعته عندما ينظر إلى عيون هذين العاشقين في هذه الصورة أن يرى بوضوح الحب بل يمكن القول الوجد والهيام الذي يكنّه الواحد للآخر، في أغلب الأحيان في عزلته هذه كان يناجي زوجته بأعذب كلمات العشق والغرام وكأنها حية ترزق جالسة إلى جانبه، من يصدق أنّ حارثاً المليء بالنشاط والمتفائل في هذه الحياة الذي لم يعرف أو يدع

القنوط أبداً أن يتسرب إلى قلبه في يوم من الأيام، أصبح لا يكترث لمصيره، الحياة عنده أصبحت بلا معنى، حالته النفسية والصحية باتت صعبة إن لم نقل على حافة الهاوية.

عادل الذي ما إن رأى عمه بعد عودته من شهر العسل مع أليسا حتى هاله وراعه هذا التغيير الهائل الذي حدث لصحة هذا الرجل، ولأنه يكنّ الحب العميق والاحترام الكبير له فقد حاول المستحيل مع أليسا لإدخال السعادة والبهجة إلى حياته وبكل الوسائل والسبل الممكنة، حاولا جعله ينسى فاجعة موت زوجته عساه أن يعود بالتدريج إلى حالته الطبيعية وبالتالي تحسن أوضاعه الصحية والنفسية لكن بدون جدوى، حتى أنه في إحدى المرات قال لهما والدموع قد ملأت عينيه: لا يمكن أن يهنأ لي عيش بعد موت رفيقة عمري وتوأم روحي رنا، لا يمكنكما أن تفهماني، لقد فقدت روحي ومن يفقد الروح فهو ميت، وصيتي لكما أن تدفناني بالقرب منها بعد مماتي على الأقل سنكون عندها مع بعض أمواتاً كما كنا مع بعض أحياءً.

لقد عشت مع زوجتي في سعادة غامرة لا توصف تلك السنين الخوالي.. ولم يستطع أن ينهي كلامه فأشاح بوجهه عنهما حتى لا يريا غزارة الدموع التي انهمرت على خديه، بعد عدة أيام من ذلك الحديث لاحظ عادل شحوب وجه عمه الشديد وغير

الطبيعي ولكونه على إلمام بالأمور الصحية لم يرقه ذلك، وأخذ القلق ينتابه على عمه لذلك لم يستطع أن يصبر طويلاً فصارح حارثاً بذلك ورجاه أن يذهب إلى طبيب العائلة لإجراء بعض الفحوص الطبية اللازمة والتي يقررها الطبيب، في البداية رفض حارث الذهاب بحجة أنه سليم الجسم ولا يشعر بأية آلام، لكن تحت إلحاح عادل وافق في النهاية على مضض، عندما رآه طبيب العائلة هاله مقدار الشحوب والاصفرار البادين على وجهه وسمح لنفسه أن يزجره بسبب عدم قدومه إليه قبل ذلك، ثم طلب منه تحاليل معينة ليجريها وبعض الصور الشعاعية، عندما اطّلع الدكتور على التحاليل ورأى الصور الشعاعية امتقع وجهه وتغيّر لونه وبدا القلق عليه واضحاً قبل أن يتوجه إلى حارث ليقول له بصوت متهدج: أنت في حالة حرجة. ثم توقف كأنه يمهد لإخباره بأمر خطير، لاحظ المريض ذلك فابتسم بحزن قائلاً: لا تخفِ عني شيئاً يا دكتور واعلم أني لا أخاف الموت بل قد يكون ذلك راحة أبدية لي. دهش الدكتور لهذا الجواب وشجاعة هذا الرجل ونظر إليه طويلاً قبل أن يقول له: لن تعيش يا حارث أكثر من بضعة أسابيع، أنت مصاب بمرض خبيث لا شفاء منه وقد تمكن منك. أنا آسف لإخبارك بذلك. ودون أن يتفوه حارث بكلمة نهض ليغادر العيادة، لكن الدكتور استوقفه ليعطيه وصفة لبعض الأدوية لتخفف عنه الآلام عندما

تحدث، وأعطاه التعليمات التي يجب أن يتبعها إلى أن يُتم اللّه سبحانه وتعالى أمراً كان مفعولاً.

عندما وصل حارث إلى المنزل وجد صهره عادلاً وابنته أليسا في انتظاره والقلق واضح عليهما، لينطلقا نحوه بنفس الوقت سائلين إياه بلهفة عن نتيجة الكشوف الطبية التي قام بها ورأي الدكتور، رد عليهما حارث وهو يبتسم: لا تقلقا يا ولديَّ فكل شيء على ما يرام.

لكن عادلاً عندما تفحص الأدوية اصفرّ وجهه لأنه عند ذاك علم طبيعة مرض عمه وكاد أن يسقط مغشياً عليه من الهلع وعدم التصديق، لاحظت أليسا ارتياع زوجها، توجهت إليه بالقول: أخبرني بربك ما الأمر؟ ارتجفت شفتا عادل قبل أن يقول وقد بدأت الدموع تنهمر من عينيه: أعتقد أن والدك مصاب بمرض خبيث قاتل، أليس كذلك يا عمي العزيز؟ أحست أليسا بالأرض تميد من تحت قدميها والدوار يلفّ رأسها وكادت أن تسقط على الأرض لولا أن أسندها عادل إليه ثم أخذت تولول منتحبة صائحة: هذا غير صحيح على الإطلاق، إني لا أصدق ذلك، قل لي يا والدي إنك سليم معافى، أرجوك قل لي ذلك. تقدم حارث نحوهما بهدوء تام وحضن بيد ابنته وباليد الأخرى صهره قائلاً لهما: كلنا في النهاية أموات تلك إرادة إلهية فالموت حق على كل نفس بشرية، لا أريد بكاءً ولا نحيباً وعويلاً إن

كنتما تحباني، حسناً يا أولادي لقد تبقّى لي أسابيع قليلة في هذه الدنيا وبعدها سأرحل إلى العالم الآخر للقاء زوجتي رنا وأنا مرتاح البال ومطمئن الخاطر أن حياة سعيدة تنتظرك يا ابنتي الغالية مع زوجك الخلوق عادل، وكذلك أعلم أن ابني الحبيب داني لن يكون بأقل سعادة منك. ثم تركهما متجهاً نحو الحديقة ليجلس هناك متأملاً الزهور والأشجار غارقاً في التفكير بالمجهول، بينما في داخل المنزل سُمع بكاء عادل وأليسا اللذين إلى تلك اللحظة لم يصدقا أنهما سيفقدان أغلى إنسان لديهما.

ابنه داني الذي ارتأى أن يبقى إلى جانب والده المريض، رحل مع زوجته إلى بيت العائلة، لم يكن يصدق بتاتاً أن والده مشارف على الموت وأنه سيفقده إلى الأبد، في أحد المرات قال له باكياً بعد أن أخذ يده وقبلها: لا تتركنا يا أبي نحن بحاجة إليك وإلى وجودك بيننا. داعب حارث شعر رأس ولده وهو يرد عليه: يجب أن تكون قوياً يا ابني، هكذا ربيتك، هكذا عهدتك، وهكذا أريدك أن تبقى، ما من إنسان في هذه الدنيا خالد يا قرة عيني.

عندما سمع نبيل بمرض حارث لم يتوان للحظة واحدة في الذهاب لرؤيته، عندما جلس ليتسامر معه لاحظ الصورة الكبيرة للزوجين إلى جانب سرير المريض، أشار نبيل إلى

الصورة وهو يقول إنها رائعة يا حارث. رد عليه بالقول: عندما أنظر إلى هذه الصورة أتذكّر كلّ لحظة أمضيتها مع زوجتي رحمها الله إنها ذكريات جميلة فحسب لكن دعنا الآن من ذلك وأخبرني إلى أين وصلت التحريات في جريمة قتل زوجتي، أجابه نبيل لم أتمكن إلى الآن من معرفة القاتل أو الإمساك بطرف الخيط، لكن بعد تمعني ودرايتي لكل تفاصيل الأحداث التي مرت وأقوال الشهود توصلت إلى ما يلي: زوجتك المرحومة وبالعفو منك لأسباب لا أدريها أخفت معلومة كانت ترعب القاتل، فعمل على إسكاتها في المحاولة الأولى فشل لكنه في المرة الثانية لم يدع مجالاً للصدف لأن تبقى حية وأعتقد أنها لم تبح بما عرفته لخوفها على إنسان ما من أن تقع عليه التهمة وهو بلا شك عزيز عليها، محاولة قتلك لم أجد لها تفسيراً سوى أن الدافع هو المال لكونك في غاية الثراء، أو أن القاتل قد تملكه الخوف من أن تكون زوجتك قد أطلعتك على ما تعرفه فقرر إسكاتك أيضاً وأنا أعرف من خبرتي في المجال الجنائي أن القاتل بعد الجريمة الأولى يصبح موضوع إقدامه على القتل مرة أخرى أو أكثر ليس فقط وارداً بل شبه مؤكّد وخصوصاً عندما يصيبه الهلع من أن ينكشف أمره، وأستطيع أن أؤكد لك أن الجاني خطط لجرائمه فترة من الوقت قبل تنفيذها مما يدل على ذكائه الحاد. ثم تابع ليقول: أعتقد أنني

سأتوصل قريباً إلى حل هذا اللغز، ولا تنس المرأة المجهولة التي كان يلتقيها سامي والتي هي على الأغلب حبه الأكبر وربما الوحيد لأنه عمل ما بوسعه للتستر عليها ولم تكن هذه هي الحال مع باقي من عرفهن، على كل سنرى ما يخبئ لنا المستقبل من مفاجآت وأحداث. بعد ذلك تحدثا مع بعض في أمور عامة كثيرة قبل أن يغادر نبيل المريض مودعاً إياه طالباً من الله أن تحدث معجزة تشفيه من مرضه.

بعد عدة أيام من هذه الزيارة عندما دخلت أليسا إلى غرفة أبيها كالعادة في الصباح الباكر وقبل حضور الممرضة المكلفة لتفقده، تسمرت في مكانها من الخوف عندما لاحظت أن والدها يرقد في الفراش بلا حراك، مغمض العينين وعلى وجهه ابتسامة عريضة، اقتربت منه ببطء وقلبها تتسارع دقاته وهي تناديه لكن دون أن تسمع رداً، عندما تمعنته ملياً وأدركت أنه فارق الحياة أطلقت صرخة مروعة دوت في أرجاء المنزل لتسقط بعدها على الأرض مغشياً عليها.

ذاع خبر وفاة حارث في البلد ولكونه ذا ثقل ووزن في مجتمعه ومعروفاً بدماثة أخلاقه ومساعدته للفقراء والمساكين فقد ساد الحزن كلّ من عرفه وأقيمت له جنازة لم تشهد لها البلد مثيلاً منذ سنوات وتم دفنه بناءً على وصيته ورغبته إلى جانب ضريح زوجته، ويمكن القول إنه في فترة العزاء لأهل

البيت لم يبق أحد في البلدة إلاّ وعزّى. طبعاً ومن بينهم نبيل ومساعده رامز.

* * *

ذات العيون الخضر

بعـد مـرور شـهر علـى وفـاة حـارث وبينمـا نبيـل جـالس في مكتبه يطالع بعض التقـارير، فـوجئ بزيـارة غير متوقعـة لـه مـن المحـامي كميـل الـذي بـادره بـالقول: عفـواً علـى حضـوري بـدون موعد مسبق لكـن لـن آخـذ مـن وقتـك كـثيراً ثـم ناولـه مظروفـاً مـن المرحـوم حـارث الـذي طلـب مـني أن أسـلمك إيـاه شخصـياً وباليد، لكـن بعد أن يكـون قـد مضـى شـهر علـى موتـه، والآن أستأذنك بالانصراف لأن لديّ مواعيد لا أستطيع التخلف عنها.

أحسّ المحقق إحساساً غامضاً أن في هذا المظروف شيئاً هامًا جـداً يتعلـق بـالجرائم الـتي حـدثت. نهـض قبـل أن يفـتح المظـروف ونادى على الحارس طالباً منه أن لا يدع أحداً يدخل إلى مكتبـه، ثم عاد وجلس ليفتح بعد ذلك المظروف ويـرى فيـه أوراقـاً مكتوبـة بخط اليد ومرقمة، بلهفة كبيرة بدأ يقرأ التالي:

سـيدي المحقـق الكـريم عنـدما تتسـلم هـذا المظـروف سـوف أكـون قـد رحلـت إلى العـالم الآخـر، وأحـب قبـل كـلّ شـيء أن أشـهد لـك بالكفـاءة والمقـدرة في عملـك وإنـك كنـت علـى قـاب قوسين أو أدنى من معرفة الجاني، كما أنني علـى ثقـة تامـة مـن

أنك ستتفهم ما حدث والسبب الذي دفعني إلى القيام بما قمت به من قتل سامي وزوجتي الحبيبة رنا، متمنياً قبل أن تحكم عليّ بالنذالة والإجرام والإدانة لما فعلته عليك أن تعرف حكايتي من بدايتها لأترك لك الحكم العادل على شخصي بغضّ النظر عن كونك رجل أمن وتمثّل العدالة.

عندما وعيت على نفسي وبلغت سن الرشد عرفت الجنس مبكراً، من سن السابعة عشرة ومع امرأة مطلقة في الثلاثين من العمر، هذه العلاقة استمرت حوالي السنتين، وتلك المرأة - عليّ أن أعترف- علمتني معنى الحب وفنون الغرام، إنها أيام جميلة وذكريات حلوة في حياتي لكونها التجربة الأولى في عالم الحب، ثم حدث أن غادرت عشيقتي البلد إلى مكان آخر لأسباب لا أدريها، لا أخفي عليك أني عشت بعدها حياة بوهيمية خلال دراستي الجامعية، حياة مجون ولهو وأنت تعرف طيش الشباب والحقيقة أن الإنسان لابدّ أن يمرّ بهذه المرحلة، استمرت حياتي هذه الصاخبة حتى بعد انتهاء دراستي الجامعية وتخرجي مهندساً إلى أن التقيتها في إجازة كنت أمضيها على البحر وعمري ثلاثون عاماً، لا أزال أذكر أول مرة لفتت نظري، كانت مسترخية على الشاطئ تلبس مايوهاً بالكاد يغطي المناطق الحساسة في جسمها مع نظارة سوداء كبيرة غطت عينيها وليس هناك حاجة لأن أطري لك جمالها الخلاب الذي

أذهلني وأفقدني رشدي لأنك أنت بنفسك أطريت لي حسنها الفتان إذا كنت لا تزال تذكر عندما طلبتني للتحقيق أول مرة، لم أدّخر بعدها جهداً في سبيل إثارة انتباهها ومن ثم التعرّف إليها، نجحت في ذلك، لاحظت أنها بدأت ترقبني خلسة بين الحين والآخر، لا بل أخذت تقوم بإغرائي بحركات أنثوية عفوية لكنها مثيرة، اعتقدت حينها أنها صيد سهل وأنها وقعت في شباكي، وبدأت أحضّر نفسي للتمتع معها بعض الوقت كعادتي، أخيراً وبعد أخذ وجذب سنحت لي الفرصة للتعرف إليها، علمت أنها من عائلة محافظة ومحترمة من دمشق، وحيدة لأبويها، حاصلة على الشهادة الثانوية واسمها رنا، وبالتدريج أصبحنا نختلي مع بعض بمفردنا في مناطق بعيدة نوعاً ما عن أعين الفضوليين، سمحت لي بتقبيلها لكنها لم تذهب أبعد من ذلك، لتقول لي في إحدى المرات: يا حبيبي إن كنت تحبني حقاً وتريدني زوجة لك فاطلبني من أهلي أمّا إذا حسبت أنني للهو فأنت مخطئ تماماً ويمكنك من الآن توديعي، عليك أن تعرف أنني لن أفرّط في نفسي إلاّ لزوجي، إذا كنت كما تدعي تحبني بحق وحقيقة فادخل من الباب، أمّا إذا كان هدفك الدخول من النافذة فعليك البحث عن مرادك في مكان آخر. حينها لم أعطها الجواب اكتفيت بالصمت وتجاهلت الموضوع برمته، إلى أن أتى اليوم الذي أعلمتني فيه انتهاء إجازتها وأنها

ستغادر عائدة إلى دمشق مع عائلتها غداً وفي الصباح الباكر، في تلك اللحظة أصابني هلع وفزع من فكرة فقدانها وبأني لن أراها بعد اليوم وعندها أدركت أنني وقعت في الحبّ أخيراً، ولم أتوان للحظة واحدة في الذهاب إلى والديها وطلب يدها، حتى لا أطيل عليك وأختصر لك هذه المرحلة من حياتي فقد تمت الخطبة بعد عودتنا من البحر إلى دمشق، وتحدد موعد الزفاف، كيف لي أن أصف لك السعادة الغامرة التي انتابتني على غير حسبان عندما أصبحت متيقناً أنها ستكون زوجتي، إنه الحب يا سيدي، من لا يعرفه يجهل تماماً معنى السعادة، عندما يُطلّ عليك بجناحيه يملأ حياتك بالفرح، هو الأمل والمستقبل، إنه نعمة من الله وهبها للبشر، صدقني عندما أقول لك إن كل العلاقات النسائية التي أقمتها في السابق تبين لي بعد معرفتي برنا أنها متعة مؤقتة زائلة وزائفة لا طعم لها ولا معنى لها، لكن عليك أن تعلم أيضاً أنه عذاب فظيع، نار تكوي الضلوع وحرقة في القلب ليس لها دواء عندما يغدر بك الحبيب، لا يمكنك تخيل وتصوّر تعاسة وشقاء الإنسان عند ذلك، عذاب الروح لا يوصف بكلام، ولا يمكنك عندها أن تكبت الرغبة الجارفة في الانتقام التي تجتاحك ولا تترك لك مجالاً لأن تتنفس بارتياح، تلك هي الحقيقة، الحب إما سعادة وهناء أو تعاسة وشقاء، ولو أنك سألتني عن أجمل ليلة في حياتي كلها يا سيدي لقلت لك فوراً

بالتأكيد هي ليلة الزفاف، زفاف رنا إليّ، أمّا أروع وأجمل شهر عندي فأظن أنك الآن تعرف الجواب الذي سأقوله لك إنه شهر العسل الذي أمضيته مع الحبيبة رنا في الخارج، لم أنسَه إلى هذه اللحظة التي أكتب لك فيها اعترافي ولن أنساه إلى يوم مماتي، ذات العيون الخضراء هذه الساحرة التي تشع حيوية وحرارة ملكت فؤادي، حبي لها وبعد الليلة الأولى بلغ الذروة وربط قلبينا برباط أبدي حتى أنني أذكر أننا تبادلنا القسم على الوصال الدائم والوفاء لبعضنا إلى أن يفرقنا الموت، كيف لي أن أصف لك حياتنا الزوجية الحالمة التي عشناها مع بعض، لم نشعر بالزمن الذي يمرّ تأكّد تماماً أنه لم يكن له وجود بالنسبة لنا على الإطلاق، حسبت نفسي أسعد إنسان في العالم، نعم إلى هذا الحد شعرت بالسعادة حتى أنني بت أعتقد أن الجميع يحسدوني على هذه الدرّة الثمينة والزوجة المحبّة رنا، باختصار أوجز لك حياتنا الزوجية إنها كانت شهر عسل دائماً مليئاً بالأفراح وليس فيه مكان للأتراح، بعد مضي عام كامل على زواجنا ولم تحمل خلالها رنا من الطبيعي أننا عندها أجرينا الفحوصات الطبية اللازمة عند أحد الاختصاصيين المشهورين تبين فيها أن زوجتي لا تستطيع الحمل، مما أدخل الحزن إلى قلبها، هوّنت عليها الأمر بالقول إن سعادتنا لا تشترى بأي شيء في الدنيا وسأعمل يا توأم روحي على تبني طفل سيكون بمثابة الابن لنا،

فكـان أن تبنيـت دانـي وعمـره بالأشـهر مـن عائلـة فقيـرة، لم تمـرّ سـوى أشـهر قليلـة علـى ذلـك حتـى لاحظـت أن مسـحة الحـزن الـتي شابت وجهها الجميل قد زالت بل وأستطيع القـول لـك إن السـعادة قـد زادت في محيطنـا العـائلي بوجـود دانـي الـذي أحببنـاه وأوليناه الرعاية الكاملة وكأنه ابننا من لحمنا ودمنا، بعدها بعدة أعـوام تبنيـت أليسـا وعمرهـا بالأشـهر والـتي أضـفت جـواً مـن الهنـاء والصـفاء علـى حياتنـا العائليـة الـتي أسـتطيع أن أجـزم لـك أنهـا كانـت حيـاة مثاليـة لعائلـة مـن أسـعد العـائلات في هـذا الكـون الفسيح.

مـرّت السـنين والأعـوام ليسـود الحـب وتـزداد العلاقـة العائليـة متانة بين أفراد عائلتنا الصغيرة، لنفرح بعد أن شـبّ دانـي بزواجـه من لوسـي، وعندما طلبت منـه حينها أن يبقـى معنـا في المنـزل مـع زوجته لم يوافق على ذلك وأراد أن يكون له بيتـه الخـاص وحياتـه الخاصة فكان له ما أراد، وهنا أحب أن أشير لك إلى مزايا ابـني هـذا إنـه علـى شـاكلتي ذو طبـع كـريم وشـهم، مثـالي في حياتـه العائليـة وفي علاقاتـه مـع الأهـل والأصـدقاء، اسـتمر هـذا الوضـع السعيد في عائلتنا إلى أن عاد إلى المدينـة سمير وعائلتـه قبـل ثـلاث سنوات، حيث أنه كان يعمل مدرساً في مدينة أخـرى، وهـو يمـتّ بصلة قرابة لي كما تعلم، وبحكـم ذلـك مـن الطبيعي لأننـا قمنـا بزيـارتهم والترحيـب بعـودتهم إلى مـدينتهم الأم، ومـن الممكـن أن

تظنّ يا سيدي أنني أغالي عندما أقول لك إنه من اللحظة الأولى وبسبب لم أدرِ كنهه وقت ذاك لكن عرفته بعد فوات الأوان، لم أستسغ ابنهم سامي، بعد تبادل الحديث والآراء خلال هذه الجلسة مع بعضنا وُلِدَ عندي انطباع أولي بأن سامي لا يريح النفس بينما كان انطباعي عن أخيه عادل مغايراً تماماً فقد راقني هذا الشاب وهو عصامي، يكره كلّ ما هو نتن وعفن في الحياة، لم أخطئ في حدسي، إن هذا الشعور المبهم الذي انتابني حينها بأن سامي سيلحق بنا الأذى في المستقبل القريب، أكدته لي الأحداث التي وقعت فيما بعد، كيف لي أن أوضّح لك ذلك؟ إنه شعور غامض أحسست به، شيء ما بشع سيحدث لنا بقدوم هذه العائلة، آه يا سيدي يا ليتني من وقتها تبعت إحساسي ووضعت حداً للعلاقة مع هذه العائلة لما كان حصل ما حصل، تكررت الزيارات المتبادلة بيننا لاحظت خلالها أن سامي يرمي بشباكه على ابنتي ويحوم حولها، هذا الأمر لم يرقني لكن لم أعر الأمر في البداية أي اهتمام لكوني كنت متيقناً أن ابنتي لا يستهويها مثل هذا النوع من الشباب، لكن الذي حدث هو العكس تماماً، أدركت مع مرور الأيام أنه نجح في استمالتها وأنها وقعت في حبّه، مما أصابني بالغيظ والغضب، لذلك عندما تقدم لخطبتها رفضته بلا مواربة ولا تردد بل ذهبت إلى أبعد من ذلك فقد حذّرته بلهجة شديدة وعنيفة بأن يترك ابنتي في سلام

وأن لا مكان له في عائلتي على الإطلاق وهددته إن لم يرتدع عن ملاحقة أليسا سيكون حسابه معي شخصياً وبنفس الوقت كنت صارماً مع ابنتي وأعلمتها بصراحة أنه في حال أقامت علاقة معه أو التقته بالسرّ سوف أحرمها من الميراث بل وطردها من البيت إن لزم الأمر، عندما تناهى إلى سمع سامي ذلك التهديد ابتعد عنها لأن هدفه لم يكن أليسا بل الثروة التي ستؤول إليها، وأعتقد أنه ارتأى أن ينتظر فترة من الوقت يحاول خلالها بطريقة ما التأثير عليّ عسى أن أغير رأيي، الآن يا سيدي وصلت إلى الجزء الأهم من حكايتي، مع مرور الوقت بدأت ألاحظ تغيّراً واضحاً في طباع وتصرفات زوجتي على غير عادتها لم تعد الابتسامة تظهر على محياها الجميل، شرودها غير الطبيعي في كثير من الأحيان لدرجة أنها لم تكن أحياناً تعير أذناً لما أتبادله من حديث معها وكأنها في عالم ثان، ثرثرتها الحلوة مع الأولاد كعادتها نسيتها تقريباً بالكامل أضف إلى ذلك أنها أصبحت عصبية بشكل ملفت للنظر، ولخبرتي الواسعة مع النساء ومزاجهن وبخاصة عندما يعشقن بدأت أشك أن زوجتي مغرمة بشخص آخر، لأقطع الشك باليقين تعمدتُ أن أبعدها عن المدينة لفترة طويلة نسبياً بالسفر معاً إلى منطقة سياحية، لأرى رد فعلها بغيابها عن المحبوب إن كان موجوداً، آملاً في قرارة نفسي أن يكون شكي في غير محله، لكن ما حدث بعث المرارة فيّ،

لقد صحّ ما كنت أظنه، زوجتي عاشقة، صدق يا سيدي عندما أقول لك إنها أصبحت لا تنام الليل، الحزن ضارب في أعماقها وواضح بشكل جلي على محياها، عندما صارحتها بأنها تغيّرت كثيراً، أجابتني والابتسامة على محياها: يا حبيبي مشاغل وهموم الحياة تجعل الإنسان مزاجه صعب في بعض الأحيان، أنا رنا التي تعرفها لم ولن أتغير يا زوجي العزيز، هذا القول زاد من حنقي، ضحكتُ في قرارة نفسي، أنا الذي أعرفها أكثر مما تعرف نفسها، همستُ حينها في سرّي سأرى يا عزيزتي إن كان ما تقولينه صحيحاً، فكّرت مليّا بالخطوة التالية، خبرتي الواسعة في الحياة أتاحت لي الحكمة في تصرفاتي وأقوالي، رأيت أن أترك لها حرية التحرك لفترة من الوقت، ثم قررت بعد ذلك أن أراقبها دون أن تدري بذلك، بعد أن وضعت خطتي التي من خلالها سأعرف ما تخبئه لي الأقدار، أول ما فعلت استأجرت سيارة وضعتها قرب منزلي دون أن يعلم أحد أنها لي، وضعت داخلها ثياباً تنكرية لأرتديها عند اللزوم وحتى لا تعرفني زوجتي في حال شاءت الصدف أن تلمحني، ثم قمت بإعلام زوجتي أنني مسافر إلى مدينة أخرى لإنهاء بعض الأعمال لمدة يومين فقط، وأنه لن يكون بإمكاني اصطحابها معي كعادتي ، وأنني في هذه المرة مسافر بالقطار وفي مساء هذا اليوم، لتجيبني وقد لمعت عيناها الخضراوان القاتلتان ببريق النشوة والسرور: لا عليك يا

حبيبي سوف أشعر بالملل من دونك وسأشتاق إليك كثيراً لكن ما الحيلة فالعمل له ضروراته، لا تتأخر عليّ أكثر من يومين يا عمري. عندما حانت ساعة الصفر، طلبت سيارة أجرة أوصلتني لمحطة القطار لكني بعدها عدتُ بسرعة في سيارة أجرة ثانية أوقفتها بالقرب من منزلي، ذهبت إلى المكان الذي وضعت فيه السيارة المستأجرة وبسرعة كبيرة في داخلها بدلت ثيابي بالأخرى التنكرية، ثم أخذت أراقب البيت عن كثب بانتظار ما سيحدث، انتظرت طويلاً خروجها لمقابلة عشيقها كما كنت أظن حتى كاد أن يصيبني اليأس لا بل واعتقدت لحظتها أني ذهبت بظنوني إلى اللامعقول، لكن مع منتصف الليل رأيتها تخرج وقد غطت وجهها بشال أسود حيث أنه لا يمكن للناظر إليها التعرف عليها على الإطلاق ممسكة ببيل صغير أنار لها الطريق بنور خافت بالكاد أن يلحظ، باختصار يا سيدي تبعتها دون أن تلحظ ذلك إلى المكان الذي أوقفت فيه سيارتها بجانب بيت صغير معزول نوعاً ما عن الجيران، لحظات قليلة مرت قبل أن تدخل البيت، أوقفت سيارتي على مسافة قريبة من سيارتها ترجلت منها وبسرعة البرق مع قفزات سريعة أصبحت أمام الباب وضعت أذني لأسمع ما يحدث داخل المنزل في سكون الليل ووحشته ليتناهى إلى سمعي صدى قبلات ولابد أنها كانت عنيفة مختلطة بصوت زوجتي وهي تردد: سامي يا حبيبي لا تدري كم

أحبك. لأسمع بعد ذلك صوت استسلامها وذوبانها في أحضان ذاك اللعين، لا يمكنك أن تتصور قوة الصدمة التي أصابتني، كيف لي أن أصف لك حالتي حينها لا أدري، مادت الدنيا تحت قدميَّ، وعشي بصري حتى أني لم أعد أرى شيئاً على الإطلاق، عمّ الغضب العارم القاتل كياني، أخرجت مسدسي في نية أن أقتحم الباب لأقتلهما معاً، لكن للحظات تمكنت من أن أسيطر على نفسي وتذكرت القسم الذي أقسمته يوماً بأن لا أقوم بأي عمل أو أتخذ أي قرار مهما كان وأنا في حالة غضب، لبثت لحظات لأعرف ماذا أفعل، قبل أن أهدأ قليلاً لأجرّ بعد ذلك رجليَّ جراً باتجاه سيارتي والدموع تنهمر على خدّيّ من الألم، والحقد والكره تجاه هذين العابثين قد طغى على كل أمر آخر، عقلي وذهني ورغبتي كلها كانت موجهة إلى طريق واحد ألا وهو الانتقام، أقسمت بأنني سوف أرسلهما إلى العالم الآخر ولكن على طريقتي، أتذكر يا سيدي عندما قلت لي في زيارتك الأخيرة لو أني استطيع الوصول إلى المرأة المجهولة حبيبة سامي وعشيقته لوصلت إلى حلّ لغز هذه القضية، أقول لك الآن يا سيدي إنك كنت محقاً في ذلك وإن هذه المرأة ويا للعجب لم تكن سوى زوجتي رنا، هل يمكنك أن تصدق ذلك؟ يا إلهي لا أدري ماذا أقول.! ثم كونك شككت أن زوجتي تخفي شيئاً ما، أيضاً كنت على حق، لكن هل كان بإمكانك أن تتصور

ماذا تخفي؟ لا أعتقد ذلك، إن رائحة الشمّ البوليسية عندك قوية جداً ولم يكن يفصل بينك وبيني لتعرف أني الفاعل سوى خطوات، أما لماذا أخفت عنك رنا هذه العلاقة فالسبب واضح إنها لم تكن تعلم أنني عرفت بخيانتها لي، وبالتالي بعد مصرع سامي أصابها الذعر والهلع من فكرة أني قد أعلم بطريقة أو بأخرى عن علاقتها المشينة هذه مما سيدفعني إلى أن أطلقها وبالتالي حرمانها من الثروة والأولاد، ناهيك عن خوفها مما كان سيؤول إليه مصيرها لو حدث ذلك، أضف إلى ذلك لم يكن ليخطر ببالها على الإطلاق أنني قاتل عشيقها، حسناً لأتابع الآن حكايتي، أمضيت يومين في أحد الفنادق البعيدة وهناك مع الهدوء الكامل في غرفتي بدأت أسترد جأشي، ومن ثم التفكير الجدي في الانتقام بقتلهما بطريقة لا تثير الشكوك حولي، لقد حكما على نفسيهما بالإعدام، هو لانتهاكه حرمتي وهي لغدرها بي بهذه الطريقة البشعة ولم أكن أكفّ خلال ذلك عن ترديد المثل القائل من يضحك أخيراً يضحك كثيراً يا عزيزتي رنا. يا سيدي الحب شعور وإحساس، مع اختلاف جوهري في المضمون، الحب يجلب للإنسان السعادة والأمل، أمّا الكره فلا يجلب للإنسان سوى الدمار والخراب، عندما تعرف ماذا يعني الحقد، الذي أنا لم أكن أعرفه من قبل، ستدرك عندها لماذا قتلت وأصبحت مجرماً في نظر العدالة.

أعود لأتمم الحكاية، بعد عودتي إلى المنزل وفي الأيام التالية لم أغيّر معاملتي الكريمة لزوجتي، لا بل على العكس فقد رحت أدللها أكثر من ذي قبل وبخاصة أمام أعين المعارف والأقرباء حتى لا أثير أي شبهة قد تدعو البعض للتساؤل لماذا مات أو فتر حبي لزوجتي خوفاً من أن يؤدي ذلك في المستقبل وبما سيحدث من أحداث إلى إثارة الشكوك حولي.

حتى لا أطيل عليك التفاصيل بدأت بالتفكير في الخطة المناسبة للتخلص من سامي، وضعت خططاً كثيرة لذلك لكنني كنت أنبذ الخطة تلو الأخرى لكوني وجدت نواقص فيها، أردت خطة محكمة ليس فيها شوائب وفي النهاية وصلت إلى مرادي، تذكرت أن زينة في إحدى المرات انتقدت ابنها سامي لكونه كان بعد أن يأكل الشوكولا التي تضعها له أمه بين الحين والآخر على كمدينة فراشه يرمي بأوراقها عبر نافذته المطلة على الشارع وكيف أن سامي وكما قالت أمه سخر منها بالقول أنت على أية حال لا تنظفين الشارع يا والدتي العزيزة، عندها خطرت لي الفكرة واختمرت في ذهني، لكن كان هناك أمر آخر هام عليّ القيام به قبل التنفيذ لضمان نجاح خطتي على أكمل وجه وهو معرفة أسرار وخبايا هذا الفاسق اللعين سامي، وكان لي ما أردت، استطعت بوسائلي الخاصة أن ألج إلى كل صغيرة وكبيرة في حياته، علاقاته،

تحركاته إلى آخر ما هنالك ولعلمي مسبقاً بما توصلت إليه من معلومات أن دائرة المشتبه بهم بعد مقتله ستكون لا حصر لها قررت التنفيذ ، عملت بشكل غير ملحوظ على الدعوة إلى سهرة عند قريبي سمير تجمع أفراد عائلتي وعائلته حرصت أن يكون جميع المدعوين حاضرين لأن ذلك سيجعل من لديه دافع للقتل من الحضور كُثُر، ناهيك عن إمكانية احتمال أن يكون القاتل غيرهم، حين حانت ساعة الصفر قمت بزرق قطعتين من نفس نوع وصنف الشوكولا الذي تستعمله زينة بمزيج كيميائي سام حصلت عليه من محترفين لهم خبرة وباع طويل في هذا المضمار، وضعتهما في جيبي ثم توجهت إلى السهرة مع زوجتي، عندما بدأت السهرة تعمدت أن تكون سهرة ممتعة بامتياز بما تخللها من ضحك ومزاح، الأحاديث المرحة والنكات لم تنقطع طوال السهرة إلى درجة أن كل واحد منا نسي مع من يتحدث، وهذا ما أردته لأن في حالة الهرج والمرج هذه لن ينتبه أحد عندما تغيبت عن الأنظار لثوان معدودة.

بعد شرب القهوة مباشرة نهضت من مجلسي قائلاً بعد أن نظرت إلى ساعتي لقد شارفت الساعة على الواحدة ليلاً ، تأخر الوقت وعلينا الذهاب، حقاً إنها لسهرة حلوة، وكما توقعت حذا جميع الحضور حذوي واتجهنا نحو الباب الخارجي، أبطأت قليلاً وتعمدت أن أكون وراء الجميع، بسرعة دخلت غرفة سامي التي

هـي جانـب البـاب الرئيسـي ممـا سـهّل علـيّ الأمـر وضـعت قطعـتي الشـوكولا القـاتلتين علـى كمدينـة فراشـه وخرجـت أيضـاً بـنفس السرعة، الأمر كله لم يستغرق ثوانيَ معدودة وكما توقعت فقـد رأيـت أن الجميـع كـانوا لا يزالـون يتحـدثون عنـد البـاب الرئيسـي كل مع آخر في حالة من الفوضى والابتهاج بنفس الوقـت جعلـتهم بالتأكيد لم يلحظوا غيابي السريع هذا.

آه يا سيدي لو تعلم مدى الفرح الطاغي الذي انتابني في اليـوم التالي عندما علمت بمصرعه، وزاد من اغتباطي معـرفتي بـالألم الرهيـب الـذي عـانى منـه في الـدقائق الأخـيرة وهـو يسـلم الـروح، مشـلول الحـركـة غـير قـادر علـى الصـراخ ولا طلـب المسـاعدة، وكنـت متأكـداً أنـه عـرف قبـل موتـه أن السـمً قـد دسّ لـه ومـن قبلـي بالـذات، هـذا الشـعور جعلـني أشـعر في حينهـا بالسـعادة تغمرني من قمة رأسي إلى أخمص قدميَّ، لقد لقـي هـذا البـائس ما يستحقه أخيراً من موت زؤام.

وقبـل أن أتمـم لـك روايـتي لابـد أن أنـوه لـك أنـي تعمـدت أن أختـار السـم الـذي دسسـته للضـحية مـن النـوع الـذي لا يظهـر مفعولـه إلاً بعـد سـاعتين أو أكثـر علـى حسـب مقاومـة الجسـم، والسـبب هـو أنـني أردت أن تكـون دائـرة المشـبوهين أكثـر باحتمـال أن يكـون الفاعـل مـن غـير الـذين كـانوا موجـودين في السهرة وارد جداً ولا يمكـن إهمالـه، وبخاصـة أنـني كنـت علـى

ثقة من أن التحقيق سيكشف علاقات سامي النسائية الكثيرة وما كان يقوم به من ابتزاز لضحاياه قبل مصرعه.

أعود لأتمم روايتي بداية بوصف حالة زوجتي بعد مقتل عشيقها وهذا بالطبع أنت تجهله يا سيدي، فقد كادت أن تفقد الوعي عند سماعها ذلك، بكته بحرقة، بكاءً لم تبكه أم على وليدها أو امرأة على بعلها الأمين بشكل أثار فيّ الدهشة الشديدة والاستغراب، برغم أني تظاهرت بالحزن الشديد وحتى البكاء عليه مثلها، أخذت أسأل نفسي حينها هل من الممكن أن تكنَّ له مثل هذا الحبّ العجيب، لقد تراءى لي وقتها أنه حبّ يقرب من العبادة لا بل عبادة، وأين ذهب حبها لي الذي كان جلياً في هذه السنين الطوال من حياتنا الزوجية، مما جعل حقدي عليها يزداد، لكني كنت أواسي نفسي بفكرة أنني سأرسلها في القريب العاجل إلى العالم الآخر لتلحق بعشيقها، ولا أخفي عليك إنها لفترة وجيزة بعد مصرع سامي كانت ترمقني بعينيها الخضراوين الساحرتين نظرات كمن تحاول أن تستشف أعماقي لمعرفة إن كنت الفاعل، ربما راودتها الشكوك حينها ناحيتي لكن كوني كنت هادئاً وطبيعياً جداً وأظهرت من الحزن على عشيقها الميت ما فاق التصور، مما جعلها تطمئن، وتثق من أنني لا أدري شيئاً عما حصل.

مـرت الأيـام وبـدأت رنـا تعـود إلى رشـدها بالتـدريج حتـى أنـني لاحظت بعـد فـترة مـن الـزمن أن بريـق الحـب لـي والـذي انطفـأ مـن زمـان طويـل قـد بـدأ يسـطع مـن جديـد في عينيهـا كمـا في سـابق عهدها قبل قدوم ذاك البغيض، لا أخفيك القـول إنـني في لحظـات عديدة ضعفت أمام حسنها الفتان وعاودني الحنين لأن أضمها بـين ذراعيَّ وأشبعها تقبيلاً لكن في هـذه اللحظـات الـتي اشـتقت فيهـا إلى عناقها وبثها حبي الكبير سرعان ما كانت تمرّ في ذاكرتـي ما سمعته تلك الليلة المشؤومة وهي تناغي وتداعب عشيقها متقلبة في أحضـانه ليعـود شـعور الحقـد يأخـذ مكانـه في عقلـي وقلـبي اللذين باتا مرتعاً له بعد تلك الليلة اللعينة.

وضـعت الخطـة الكاملـة لتنفيـذ جـريمتي الثانيـة، كنـت حريصـاً أن أبعـد الشـبهات عـني لـذلك وجـب علـيّ قبـل قتلـها أن أقوم بعملية تمويه تبعد الشـكوك عـني، لأن مصـرع زوجـتي بعـد مقتل سـامي بدون التمويه قد يؤدي بك إلى الشك بأنها هـي المـرأة المجهولـة الـتي كنـت تبحـث عنهـا، وخصوصـاً بعـدما لاحظـت براعتـك ومهارتـك في تصـوير الوقـائع وتحليلـها لم أكـن لأشـك لحظة واحدة أنه سيكون وصولك للحقيقـة عنـدها سـهلاً جداً، أمـا خطـة التمويـه الـتي وضـعتها فهـي تنفيـذ محـاولتي قتـل غـير ناجحتين بالطبع، الأولى محاولة قتل لـزوجتي أكـون فيهـا بعيـداً عن مسرح الأحداث، وبالتالي سيبدو الأمر كـأن القاتل المجهول

حاول قتلها لإزاحتها عن طريقه حتى لا تفضي بما تعرفه من معلومات تخص جريمة مقتل سامي ستؤدي إلى كشفه، أما المحاولة الثانية فهي محاولة قتلٍ لي أنا بالذات، وبذلك سيبدو الأمر أنني مستهدف على لائحة المجرم لأنني بتُّ أيضاً أشكّل خطراً عليه وبالتالي سأكون خارج نطاق الشبهات عندما تحدث جريمة قتل زوجتي، لكن في الجريمة الثانية التي كنت أعدّ لها كان يتطلب تنفيذها وجود شريك يساعدني في ذلك أو بكلمة أخرى امرأة أعلم أنها تحبني سأعمل على أن تكون عشيقتي أولاً ومن ثمّ مساعدتي في تنفيذ الجريمة، لم يكن عليّ صعباً إيجادها، منذ فترة طويلة كنت أعلم أن إحدى صديقات زوجتي مغرمة بي ولن يحتاج أمر أن تصبح عشيقتي سوى إبداء إعجابي بها ومطارحتها الغرام، وهذا ما حصل، لن أذكر لك اسمها فهي غير مذنبة فيما حدث وساعدتني في ما فعلته لحبها لي كما أنها لم تشترك في تنفيذ الجريمة، وإني أعلم يا سيدي من خبرتي الطويلة بطبائع الناس أنك رجل شهم لذا أعتقد أنك ستلبي رغبة رجل ميت ولن تحاول معرفة عشيقتي لإلصاق تهمة المساعدة في القتل بها، أعود لأكمل حكايتي التي شارفت على الانتهاء، بعد أسبوعين من بدء هذه العلاقة لم أتردد في البوح لعشيقتي بنيتي التخلص من زوجتي وأوضحت لها الخطة، في البداية نظرت إليّ بذهول وتعجّب

كـأن صـاعقة أصـابتها غـير مصـدقة مـا سمعت لتقـول لـي بعـد لحظـات مـن الوجـوم: لـيس هـذا وقـت المـزاح يـا حبيبي. لكنهـا فوجئـت بـردي الصـارم إذ قلـت لهـا بجديـة ونـبرة غاضـبة: هـل ستساعدينني في ذلك أم لا، رفضت بشدة فكرة القتل مما أدّى بـي إلى تركهـا قـائلاً لهـا: في حـال غـيرت رأيـك تعـرفين أيـن تجـدينني، بعـد أسـبوع مـن هجـري لهـا أذعنـت لمطـالبي وأعلمـتني أنها سـتنفذ كـل مـا أطلبـه منهـا. عنـدها بـدأت تنفيـذ مـا نويـت، حددت لعشيقتي أين ومتى ستقوم بمحاولة قتل زوجتي عن طريق دهسها بالسيارة والتي ستنتهي بالفشل ونجاة رنا من موت محقق بأعجوبـة، علـى حسـب الخطـة الـتي وضـعتها في الوقـت الـذي سـأكون فيه في منزلـي بعيـداً عـن مسـرح الحـدث، تمـت العمليـة بنجـاح بـاهر كمـا أردت أن تكـون، الخطـوة التاليـة مـن الخطـة كـانت لا تخلو من الخطورة بمكان لأن أي خطأ بسيط من قبل عشيقتي في التصويب أثناء إطلاقها النـار علـيّ وهـي تقـود سـيارة مسـرعة مـن الممكـن أن تـودي بحيـاتي، وبـرغم ذلـك غـامرت وصـممت علـى الـذهاب بمـا خططتـه إلى النهايـة، فبـل القيـام بالعملية قمت بتدريب العشيقة علـى إطـلاق الرصـاص مـن نافـذة السيارة نحو الهدف فترة مـن الـزمن إلى أن تيقنـت أنهـا أصـبحت قادرة على التنفيذ، نُفِذَت العملية بدقـة متناهيـة ونجحـت نجاحـاً فـاق التصـوّر، وكمـا أردت وتوقعـت وأردت فقـد وجهـت أصـابع

الاتهام في العمليتين المذكورتين نحو القاتل المجهول الذي فتك بسامي، للأسباب التي تعرفها، وهكذا أصبحت مطمئناً على أنني عندما أتم خطتي وأقوم بقتل زوجتي سوف أكون خارج نطاق الشبهات.

بعد أن شفيت من جرحي بدأت أحضّر للمرحلة الأخيرة من الخطة، قمت بتسجيل صوت زوجتي، لكي تتقنه عشيقتي بعد تدريبها عليه، نجاح خطتي كلها كان يعتمد على ذلك، وأعتقد يا سيدي أنك بدأت تدرك لماذا. أمضيت أياماً طوالاً وليالي كثيرة وأنا أدرّب العشيقة على تقليد صوت زوجتي إلى أن تأكدت تماماً أنها نجحت في ذلك وأصبح بإمكاني الاعتماد عليها، عندها حددت ساعة الصفر، أرسلت عائلتي مع الخادمة إلى البحر لقضاء إجازتهم السنوية بعد أن أعلمتهم أنني سألحق بهم مع زوجتي رنا بعد يومين أو ثلاثة أيام ريثما أنهي بعض الأعمال الضرورية، في يوم التنفيذ دخلت مع زوجتي الحمام وكالعادة طلبت منها أن تدير لي ظهرها لأنظفه، ابتسمت لي بحنان قبل أن تفعل وهي لا تدري مصيرها، لبست القفازات بسرعة وبواسطة ربطة عنق قمت بخنقها، مقاومتها كانت ضعيفة، حاولت الاستدارة، لكن دون جدوى، بدأ صوتها المختنق يصلني وهي تطلب الرحمة قائلة لا تقتلني بربك يا حارث، إني أحبك بل أعبدك ألا تفهم؟ أرخيت الشد على

عنقها قليلاً رغبة مني أن أسمع كلماتها الأخيرة قبل أن تموت.
تابعت الكلام بالقول الآن أدرك يا حبيبي أنك أنت قتلت سامي لقد علمت بعلاقتنا بالتأكيد ، آه يا توأم روحي لو تعلم أنها كانت نزوة وزلّة دعنا نعيش وننسى الماضي، لكني لم أعر كلامها آذاناً صاغية بل عدت للضغط على عنقها بقوة لأسمعها تتابع الكلام بصوت متحشرج ضعيف بالكاد يفهم: لن تدعني أعيش أنا أعرفك يا حبيبي، أحبك برغم كل شيء، أنت حبي الوحيد، أخر ما نطقت به، أحسست بعدها أنها فقدت الوعي، تركتها تسقط على بطنها، ثم قمت بجس نبضها الذي توقف عن الحركة، لقد ماتت، قلت لنفسي، وأنا في حالة ذهول كامل، لا أدري كيف أصف لك حالتي في تلك اللحظات الرهيبة، أخذتها في أحضاني وبدأت أقبلها في كل مكان، بكيتها بحرقة ورحت أندب وأقول بصوت مختنق: لماذا فعلت ذلك يا أغلى عليّ من حياتي، قتلتك يا فؤادي وأنا أعلم أنني قتلت نفسي، أعلم أنني انتحرت، داعبت شعرها الأشقر الجميل، تحسست جسدها الذي بدأ يبرد وأنا في حالة ذهول كامل، لقد قتلتها يا سيدي ولكن معها قتلت نفسي، صدقني عندما أقول لك إنني منذ تلك اللحظة كنت الميت الحي، ماتت الدرة التي ما كنت لأبيعها بمال الدنيا كله، ماتت المرأة التي أحببتها بكلّ جوارحي والتي لم أكن لأبدلها بنساء العالم

كله، بعدما قتلتها بيدي هاتين لم تعد حياتي تعني لي شيئاً، تحاملت على نفسي وقمت بغسل جسمها بالماء حتى لا يتبقى آثار لأي بصمات عليها، ثم خرجت من الحمام، واتصلت لعشيقتي معلماً إياها أن كلّ شيء انتهى طالباً منها القدوم إلى منزلي لإجراء المكالمتين الهاتفيتين مع أليدا زوجة أخي وكارمن شقيقتي طبقاً للخطة الموضوعة وأن تكون حريصة أن لا يراها أحد لا عند الدخول ولا عند الخروج من المنزل، بعدها خرجت فوراً متوجهاً إلى المقهى الذي أرتاده في العادة وتعمدت أن أبقى فيه لفترة طويلة وهكذا سوف أكون بعيداً عن مسرح الجريمة لحظة وقوعها، لكون عشيقتي متقمصة شخصية رنا ستتكلم بالهاتف.

خلال تواجدي بالمقهى مما يعني أن زوجتي كانت حية ترزق آنذاك وبذلك ضمنت لنفسي أن أكون خارج نطاق الشبهات.

ولابدّ أن أنوّه لك في حكايتي هذه إلى محاولة الإيقاع بي عن طريق الشرك الذي وضعته أنت يا سيدي فلا بدّ أن أعترف أنها كانت فكرة تنم عن ذكاء حاد وخبرة بوليسية كبيرة، لكن الحياة علمتني أن أتوخى الحذر والحيطة في أي أمر أنوي القيام به، حينها داهمني إحساس غامض بأن هناك شيئاً مريباً لا أدريه بعث فيّ عدم الارتياح وبكلمة أخرى أحسست بالخطر المحدق بي أن ذهبت لبيت المحامي بشير وسرقة المظروف المختوم

المزعـوم، ربمـا هـي الحاسـة السادسـة كمـا يقولـون نبهـتني إلى ذلك ومن ثم هداني التفكير إلى أن أتصل بلص معروف وأطلب منـه أن يقـوم بالمهمـة بـدلاً عـني بعـد أن أغويتـه بالمـال الـوفير، موضـحاً لـه خطـة الاسـتلام والتسـليم وعـن طريـق المنظـار الليلـي راقبـت المنـزل مـن بعيـد ، وعنـدما رأيـت الأنـوار قـد سـطعت فيـه أدركـت أنه كـان فخاً للإيقاع بي، فغـادرت المكـان بسـرعة. في نهايـة حكـايتي هـذه لابـدّ أن أذكـر لـك مـا حـلّ بـي بعـد قتلـي لزوجتي، لو تعلم يا سيدي مدى الآلام التي عشتها لأشـفقت علـيّ بـلا شـك، اللوعـة لفقـدانها لا تحتمـل، اشـتياقي لرؤيتهـا الـذي كـان يـزداد يومـاً بعـد يـوم فـاق الحـدود ، أصـبحت عنـدما أخلـو لنفسـي في الليـل أناديهـا كـالمجنون متوسـلاً إليهـا أن تغفـر لـي فعلتي، إذا فقد الإنسان توأم روحه عنـدها صـدقني عنـدما أقـول لك بأن الموت أهون عليه بكثير مـن حيـاة الشـقاء هـذه، العـذاب مـبرح، عـذاب الـروح والجسـد مـؤلم إلى درجـة مخيفـة، الوجـد والشـوق للحبيـب قاتـل، ذات العيـون الخضـراء لم تـبرح مخـيلتي بعـد موتهـا أبـداً ، عنـدما كنـت أرنـو إلى صـورتنا أيـام حبنـا الكـبير، أيـام لقائنـا الأول كنـت أشـعر بجسـدها المشـوق الجميل مسترخياً إلى جانبي وأن أنفاسها تختلط بأنفاسـي، لسـت أدري كيـف أصـف لـك هـذا الشـعور الغـامض الـذي بـدأ ينتـابني بعد مرور أكثر من شهرين من قتلي لها ، شعور بأنها قريبـة مـني

لكن لا أستطيع أن أراها، شعور بأنها تراقبني عن كثب وأنها حزينة لحالي الصعبة هذه، بطريقة ما عجيبة وغريبة شعرت بأنها ستزورني في القريب العاجل، كنت متيقناً من أن ذلك سيحدث وبت أنتظر ذلك اليوم بلهفة لا توصف بكلام، مرّت الأيام وحدث الأمر الذي لن تصدقه يا سيدي، ألا وهو ظهورها لي أخيراً، أول مرة رأيتها حسبت نفسي أحلم، نظرتُ إليها غير مصدق نفسي أن رنا بلحمها وشحمها ماثلة أمام عينيّ بجمالها الطاغي، انتابني عندها بنفس الوقت سرور لا حدود له لرؤيتها ممزوجاً بالخوف والفزع من أنه يتهيأ لي ذلك وإنني على مشارف الجنون، أخذت أردد بلا وعي مني: هل هذا حلم جميل أحلمه أم أنني فقدت عقلي؟ ليأتيني صوتها العذب الحنون والبسمة الجميلة قد طغت على محياها الفاتن يقول لي: أنت بكامل قواك العقلية ولست في حلم يا حبيبي، لقد أتيت لزيارتك فقد اشتقت إليك كثيراً. حاولت أن أنهض لأضمها بين ذراعيّ لأقبلها وأشمّ رائحتها الزكية، لكن، كأن قوة خفية خارقة شلت حركتي وجعلتني غير قادر على الحراك نهائياً، نظرت إليّ بحزن وألم وهي تقول: لماذا فعلت ذلك يا حارث؟ يا حارس قلبي ومالك فؤادي، لماذا قتلتني؟ كان بإمكانك أن تترك الكأس تنضب من الماء ببطء حتى النهاية وأنت قمت بكسرها قبل الأوان. أجبتها من خلال الدموع المنهمرة على

خديّ: إنه الحبّ القاتل يا حبيبتي، لم أستطع التصور أن أحداً آخر ملكك وحلّ مكاني، تذكرين أننا أقسمنا لبعضنا أنه لن يفرقنا إلاّ الموت وهذا ما حصل، قتلتك ولكن بقيت زوجتي والقسم لن يندثر فأنا لك وأنت لي، آه يا توأم روحي لا تعذبيني أكثر وخذيني إليكِ، ثم سكتُّ لكن الدموع المنهارة مني قد زادت. أجابتني بصوت فيه حزن عميق يقطع الأكباد: لا أريدك أن تبكي يا قرّة عيني، أتريد أن تقتلني مرتين، عليك أن تعلم أن الشوق لأن أكون في أحضانك قد بلغ أقصى مداه لكن لم يحن بعد موعد لقائنا الأبدي، لكن رؤيتي لك باكياً أمرّ عندي من قتلك لي. ثمّ تنهدت بحسرة لتقول قبل أن تغادر: لا تبكِ يا حبيب العمر.

صارت بعدها زوجتي وحبيبتي رنا تزورني يومياً بعد منتصف الليل لتبقى معي في غرفتي إلى ما قبل طلوع الفجر، كنا نتحدث أثناءها في مواضيع مختلفة، نبثُ بعضنا الأشواق، نضحك ونتسامر، نذكر الأيام الخوالي، ويوم لقائنا الأول على الشاطئ وما إلى ذلك، لابد أنك الآن تفهم وتدرك لماذا أصبح النهار عندي أشبه بنار جهنم أعدُّ فيه الدقائق والثواني منتظراً منتصف الليل وقت قدوم محبوبتي لعندي. لا تظن أنني أهلوس كمجنون مثل باقي المجانين، أقسم لك بكلّ مقدس أن كلّ حرف ذكرته لك هو صحيح، وإلى أن يتم لقائي الأبدي مع

مالكة الروح والجسد زوجتي رنا والذي بات قريباً جداً وعلى الأبواب أكتب لك هذا الاعتراف، وأنا على مشارف الموت، طالباً وراجياً منك يا سيدي أن لا تظلمني في الحكم عليّ بالإجرام، فقد دفعت الثمن غالياً ، إن روح الانتقام رهيبة وطاغية إلى درجة مخيفة وأنا متأكد وكلّي ثقة بأنك عندما تعرف معنى الحب والعشق الذي يصل إلى درجة الوجد والعبادة بالمعشوق ستدرك حينها لماذا أقدمتُ على فعلتي هذه.

عند هذا الحد انتهت اعترافات حارث في الأوراق المكتوبة بخط يده والممهورة بتوقيعه، لم يستطع نبيل عند الانتهاء من قراءة حكاية حارث من أن يمنع دمعتين أن تسقطا على خديه وهو يهمس لا أستطيع أن أحكم عليك بالسوء يا حارث رحمك الله وسأحترم رغبتك بطي القضية ووضع إشارة استفهام على اسم عشيقتك. وبعد أن كتب تقريراً بالأحداث التي وقعت تمهيداً لرفعه إلى رؤسائه اختار عنواناً لهذه القضية وهو ذات العيون الخضراء.

استقالة

دفع حبّ الاستطلاع بنبيل أن يعرف عشيقة حارث من باب الفضول فقط، ولكونه يتمتع برائحة شمّ بوليسية قوية فقد توقع أن تزور تلك المرأة ضريح عشيقها بين الفترة والأخرى لعلمه بأن حبيبها حارث كان عنيفاً وإلاّ لما ساعدته في خطته بارتكاب الجريمة دون أن تكون شريكة مباشرة في القتل، راقب المكان لفترة من الزمن، حدسه كان في محله، إذ رأى في أحد الأيام امرأة في حوالي الأربعين من العمر على قدر لا بأس به من الجمال، تضع إكليلاً من الزهور على ضريح حارث وتقرأ الفاتحة على روحه، تقدم نحوها ببطء ووقف بالقرب منها إلى حين استدارت لتعود أدراجها، عندها استوقفها نبيل وهو يريها شارته مطمئنا إياها أن لا تخاف بعد أن لاحظ الذعر والهلع الذي انتابها، لترد عليه بعد أن استردت نوعاً ما من رباطة الجأش: ماذا تريد مني يا سيدي؟ أجابها قائلاً: قولي لي بصراحة هل أنت كنت عشيقة حارث والتي ساعدته في جريمته؟ وأعطاها وعداً بإبقاء الأمر سراً بينهما إن أخبرته بالحقيقة. بعد أن تفحصته بإمعان قالت له: أقدر أن أثق

بوعدك، نعم لقد قمت بمساعدته ونفذت ما طلبه مني، إنني أحببته بصدق وإخلاص لقد كان رجلاً رائعاً وكنت مستعدة للتضحية بحياتي من أجله ويمكنك أن تدعوني باسمي صوفيا، رد عليها نبيل بالقول: حسناً يا صوفيا يمكنك الآن الذهاب، شكرته بحرارة على موقفه هذا منها قبل أن تغادر المكان، في اليوم التالي وهو بمكتبه أخذ نبيل ورقة ليخطّ عليها استقالته من عمله إلى رؤسائه، فقد رأى أن واجبه اقتضى عليه اعتقال صوفيا، بينما قناعته غير ذلك، فحسم الأمر بالاستقالة، حاول رئيسه المباشر المستحيل لإقناعه بالعدول عن ذلك لكونه معروفاً ببراعته وحنكته في التحقيق في قضايا الإجرام الغامضة والمعقدة إضافة إلى جديته في عمله لكن دون جدوى.

افتتح نبيل بعد الاستقالة مكتباً خاصاً للتحري بعد موافقة الجهات المسؤولة عن ذلك.

بعد مرور سنتين من هذه الأحداث تناهى إلى سمع نبيل أقاويل وأحاديث متداولة من قبل معارف وأقارب حارث ورنا أقسم فيها المذكورون أنهم رأوا الزوجين المذكورين في نفس المنطقة التي تعارفا فيها يسبحان في البحر مسافة بعيدة نسبياً عن الشاطئ وهما يلعبان ويمرحان. قام بعض من هؤلاء المعارف الذين لم يصدقوا أعينهم بالسباحة تجاههما، لكن الزوجين السعيدين كانا عندما يلمحان هؤلاء يحاولون الاقتراب منهما

يسبحان فوراً مبتعدين باتجاه الضفة إلى موقع بعيد عن الأنظار، ليختفيا بعدها وكأن الأرض قد انشقت وابتلعتهما.

لما سمع نبيل بذلك، ابتاع باقتين من الورد وشمعتين وقصد ضريحي حارث ورنا اللذين دفنا إلى جانب بعضهما، ووضع ياقة من الورد وأشعل شمعة عند كلّ ضريح، ثم قرأ الفاتحة على روحيهما، نظر بعدها إلى السماء قائلاً: أرجو أن تكون روحك قد هدأت يا حارث وأنك الآن تنعم بالسعادة والهناء إلى جانب زوجتك. ثم استدار عائداً إلى البلد.

* * *

............." تمت ".............

الفهرس

الجريمة ٧

القاتل المجهول ١٢

محاولة قتل ٢٥

السيارة الزرقاء ٣٠

اعترافات عادل ٣٦

عش الغرام ٤٠

صراع الإخوة. ٤٧

العانس ٥٤

ليلى ٦٠

ابتزاز ٦٤

الطلق الناري ٧١

الصورة ٨٠

موت مفاجئ ٨٧

الخطبة ٩٧

الشرك ١٠٣

وفاة حارث ١١٢

ذات العيون الخضر ١٢٠

استقالة ١٤٦